الثمن : الدعاء بالرحمة لأخي

اسهامات في تاريخ الجزائر في الفترتين الحديثة والمعاصرة



الأستاذ مصطفى خروس

الطبعة الأولى

2025

الإيداع القانوني: 2025

ردمك: 925-9939-337-39-5

مكتبة النخبة بن ساعة
طريق الصيفة - متليلي
55 74 29 029
36 55 46 0660

تصميم وطباعة اليراع للطباعة والإشهار
029 23 42 53
0669 90 43 44 / 0554 78 75 76
printealyaraa47@gmai.com
شارع 05 جويلية - مفترق الطرق مرمورة - غرداية

الدكتور: خروس مصطفى

إسهامات في تاريخ الجزائر
في الفترتين الحديثة والمعاصرة

إهداء

إلى روح أمي التي بذلت حياتها فداءً من أجلنا

إلى التي سهرت على مستقبلنا

إلى التي امتلكت شجاعة صلبة كالحديد

ويبقى عام 2004 ذكرى مؤلمة تذكرنا بك من جديد

إلى روح أختي ربيعة التي وقعت شهيدة في سنوات الجمر والنار

رحمكما الله واسكنكما فسيح جناته

إلى أبطال غزة، الصناديد، الأشاوس

إلى كل الثائرين من أجل الحق والعدالة والحرية

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾

(سورة الزمر، الآية 9)

تقديم

لقد حظي تاريخ الجزائر خلال الفترة الحديثة والمعاصرة، باهتمام العديد من المؤرخين والباحثين سواء الجزائريين منهم أو الأجانب، يتجلى ذلك واضحا من خلال كتاباتهم المتعددة، التي لاقت رواجا واهتماما من قبل المختصين والقرّاء. وظلّت مرجعا مهما لدى الكثير من الباحثين، وقد كانت تلك الكتابات تشمل مستويات عدة نذكر منها الجوانب السياسية. الاقتصادية الاجتماعية والثقافية، وفي نفس السياق حاول الدكتور خروس مصطفي كباحث في التاريخ جمع العديد من تلك الكتابات ووضعها في مؤلفه هذا، حيث تطرق فيه إلى مواضيع تخص التاريخ المحلي لبعض المحطات المهمة في تاريخ الجزائر خلال الفترة الاستعمارية والتي بيّنت هوية وثقافة الجزائريين الممتدة عبر العصور، وكذلك بيّن نظرة الآخر إلى ساكنة بلاد المغارب من خلال مذكراتهم، هذا علاوة على أنه تناول وبالتفصيل العديد من الشخصيات التي كان لها تأثير على تاريخ الجزائر على غرار العلامة البشير الابراهيمي والأمير خالد الجزائري حفيد الأمير عبد القادر، لتستمر كتاباته تلك لتصل حتى إلي تاريخ الثورة الجزائرية من خلال تقديم حقائق عن تأسيس الحركة الطلابية ودعمها للثورة التحريرية .

وعليه للكتاب قيمة تاريخية مهمة جدا لأنّه يقدم الكثير من الحقائق التاريخية عن تاريخ الجزائر خلال الفترة الحديثة والمعاصرة، وهو يعتبر إضافة لسلسة المصادر والمراجع التي تتحدّث عن تاريخ الجزائر، ومن هنا ننصح الباحثين والمختصين للاعتماد عليه.

تقديم البروفيسور محمد شبوب جامعة الشلف.

تقديم

يشكّل كتاب "إسهامات في تاريخ الجزائر في الفترتين الحديثة والمعاصرة" للدكتور خروس مصطفى، اضافة نوعية الى المكتبة التاريخية العربية اولا، والجزائرية ثانياً، لما يتسم به من تناول موضوعات غير تقليدية تناولت تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر.

وبعد الاطلاع على الكتاب لوحظ أن المؤلف حرص على تجاوز السرد السياسي العسكري المألوف، ليغوص في البناء الاجتماعي، والثقافي، فضلا عن الجوانب الرياضية والبحرية، مسلطا الضوء على عناصر ظلّت مهمشة تاريخيا ولم يتم تناولها مسبقا بالشكل الذي يليق وأهميتها التاريخية من خلال دورها في تشكيل الهوية الوطنية والذاكرة الجمعية للبلاد.

يستند الكتاب الى استخدام منهج تاريخي نقدي يقوم على العودة إلى النصوص الأصلية فيمن صحافة الآخر مثل "جريدة المبشر" إلى مذكرات الأسرى الأوروبيين، لاسيما دييغو سيرفانتس، مرورا بالمصادر العربية، ولم يستثن الباحث المصادر الأدبية التي استثمرها بنجاح كشعر الأمير عبد القادر الجزائري، وأحاديث الفروسية.

تمكن من خلالها الباحث الكشف عن جوانب متشابكة من علاقة الجزائريين بالمستعمر الفرنسي، مثل توظيف سباقات الخيل والرمكات والفانتازيا في الدعاية الاستعمارية، ورسم صورة الجزائر في "أدب الاسر الاسباني في القرن السادس عشر، فضلا عن أثر المكاتب العربية وأجهزتها في الحياة اليومية".

إن قيمة العمل لا تقتصر على توثيق أحداث ووقائع ماضية، بل تجلت أهميته في إعادة قراءة التاريخ المحلّي من عين باصرة وبوصفه تاريخا اجتماعيا

وثقافياً، يتيح ذلك للباحثين فهما أعمق لمسارات التغيير التي عرفتها الجزائر عبر العصور.

ما يتميز به الباحث الدكتور خروس مصطفى انه تمكن من مد الجسور بين الماضي والحاضر، بين الذاكرة الوطنية والدراسات الاكاديمية الحديثة، وقدم مادة أصيلة للباحثين والطلبة المهتمين بتاريخ شمال افريقيا والعلاقات المتوسطية، ودراسات التفاعل الثقافي بين الشرق والغرب.

وبهذه الروح البحثية التي وجدتها في المؤلف، أثني على الدراسة التي فتحت أفاقا جديدة لإعادة قراءة صفحات من التراث الجزائري في أبعاده الاجتماعية والثقافية.

أ.د خليل خلف حسن بجامعة تكريت بالعراق.

ورئيس قسم التاريخ بكلية الآداب. العراق 2025م.

مقدمة

تعد هذه الدراسات التاريخية محصّلة لمساعي وجهود في مجال البحث التاريخي، تنوعت مواضيعها وتعددت مجالاتها تجمع بين التحليل والمقارنة والنقد ترفض أن تأخذ بالشكليات والسّطحيات، في تناول القضايا والأحداث والشخصيات والأفكار، محاولين التنقيب والبحث في عدة مواضيع تخص تاريخ الجزائر في تاريخها الحديث والمعاصر، من زوايا عدة وبرؤى جديدة ومختلفة تعبّر عن رغبة جامحة في تناول التاريخ بأسلوب آخر يتجاوز الاجترار، والتكرار.

هي ترجمة لهمّ معرفي شكّل عبئا كبير على عاتقنا لإخراجه للقارئ، تاركين المجال له لإبداء رأيه حول ما طرح في هذا المُؤلف من مواضيع تاريخية، وهي بكورة أعمالنا في بداية طريق البحث، ويبقى كل موضوع تاريخي نسبي قابل لطرح الإشكاليات: للمعارضة. والرفض. والنقد. التصحيح والتعديل.

والتاريخ اليوم لا يحمل محتواه الكمال والقدسية مع ظهور مناهج ومدارس تاريخية وفكرية جديدة تجعلنا بكل تواضع نساهم في اثراء التاريخ بكل أبعاده وتخصصاته بقدر المستطاع.

هذا المؤلف يضم مجموعة بحوث تاريخية أغلبها متعلق بتاريخ الجزائر الحديث، والمعاصر من أحداث، وتطورات وشخصيات، كان لها دور في تغيير وتوجيه حركة التاريخ، تركت أثارها إلى غاية اليوم، ومثل هذه المواضيع مازالت تطرح الكثير من الأسئلة لدى الباحثين والمؤرخين ونحن نعتبرها محاولات واسهامات لتلمس الحقيقة في طريق البحث التاريخي.

نظام مسابقات الرمكات في العهد الفرنسي في عمالات الجزائر ووهران وقسنطينة من خلال جريدة المبشر الفرنسية

توطئة.

1.تعريف جريدة المبشر.

2.تاريخ سباق الخيل في الجزائر.

3.التعريف بالرمكات.

4.نظام مسابقة الرمكات.

5.نصائح البايلك فيما يخص فحول الخيل.

6. محتوى القوانين والاوامر الصادرة.

7. شروط مسابقة الخيل في العملات الثلاث.

8. الدعاية لسياق الخيل والهدف منها.

9.فوائد رياضة الخيول.

استنتاج.

المصادر والمراجع.

توطئة

جّندت فرنسا في احتلالها للجزائر ترسانة اعلامية كبيرة، كجزء من استراتيجية الاحتلال الشامل خاصة منذ وصول بيجو إلى سدة الحكم في الجزائر ومن أجل ضمان الأمن والاستقرار وتحاشي الثورات والاضطرابات أسست مجموعة من الجرائد من بينها جريدة المبشر.

1. تعريف جريدة المبشر

هي صحيفة[1] رسمية صدرت سنة 1847 باللغتين العربية والفرنسية، وكانت على العموم موجهة إلى الجزائريين، وكانت الجريدة وسيلة للدعاية والتخدير، نسبت للملك لويس فيليب الذي تسميه الجريدة سلطان فرنسا وكان ابن الدوق دومال حاكما عاما للجزائر بعد بوجو، واستمرت الجريدة في الصدور بعد سقوط الملكية إلى غاية 1927م فكانت بمثابة مشروع فرنسي يعكس السياسات المتناقضة لفرنسا.[2]

لم يكن لينجح هذا المشروع الاستعماري لولا سلاح الصحافة، فمنذ البدايات الاولى أحضر الجيش الفرنسي مطبعة وهيئة تشرف على إصدار إحدى مجلاته الدعائية والمغرضة موجهة للجزائريين، وحملت هذه الجريدة إسم ليستافيست سيدي فرج[3] **L'esttafet de sidi fregge** وأعدادها نشرت باللغة

1 - الصحافة في اللغة مشتقة من فعل (صحف)، ومنه جاءت الصحيفة ومعناها في اللغة: ما يكتب فيه وجمعها صحائف" 1 "، جاء في جمهرة اللغة: الصحف واحدتها وهي قطعة من آدم أبيض أو رق يكتب فيها قطعة وفي لتنزيل " و إذا الصحف نشرت" والجمع صحائف وربما جمعوا الصحيفة صحافا وأصلها بشرة جلد الوجه. ينظر: محمد بن محمد أبو الفيض مرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، ص 624

2 - أبو القاسم سعدالله: تاريخ الجزائر الثقافي، ط1، ج5، دار الغرب الإسلامي، 1998، ص222.

3 - محاضرة منشورة على موقع جامعة تلمسان:

https: //elearn.univ-tlemcen.dz/pluginfile.php/146653/mod_resource/content/1

الفرنسية، ولكن سرعان ما تبعها صدور مجلات فرنسية أخرى مثل جريدة المبشر، التي كان يشرف عليها الحاكم العام مباشرة عن طريق الدعم المالي، وفي ذلك يقول أحمد الخطيب: **" اتسم تاريخ الصحافة في الجزائر منذ الاحتلال بظهور الصحف الفرنسية الكولونيالية التي كانت تتبع في طباعتها و إصدارها نفس النمط المتبع في فرنسا ".**[1]

كانت جريدة المبشر فرنسية الإدارة جزائرية اللّسان، وهي نصف شهرية أمضى مرسوم تأسيسها الملك الفرنسي لويس فليب هذا الأخير كلّف الجنرال دوماس **dumas** بتطبيقها، وسمح لبعض الجزائريين تدوين مقالتهم وكتاباتهم فيها، وتغيّر نمط صدورها فيما بعد من نصف شهرية الى عشرية، ثم أسبوعية في آخر مراحلها منذ 1866.[2]

2. تاريخ سباق الخيل في الجزائر

لسباق الخيل في الجزائر جذور تاريخية طويلة، وقد عرف الجزائري هذا السباق باسم الفنتازيا[3]واستخدمت لأوّل مرةّ كلمة فنتازيا باللّغة الفرنسية 1833م[4] ويشير تاريخه إلى أنه نوع من المحاكاة الحربية في العهد النوميدي، كما أنّ العرب استخدموا حرب الكرّ والفر عن طريق فرسانهم،[5] ومع مجيء الاتراك

---

[1] -عبد القادر كرليل: نشأة الصحافة في الجزائر، مجلة المصادر، العدد11، ص220.

[2] - نفس المرجع، ص222.

[3] - فنتازيا fantasia نجدها في اغلب اللغات في البحر المتوسط، حيث نجدها في اللغات الاوروبية ويعود أصلها للفظ الإغريقي quastaria بمعنى حب الظهور وطهرت الفنتازيا في اللغة الفرنسية بمعنى استعراض الفروسية. ينظر مراد بوطقوقة: مجلة الفكر المتوسطي، العدد 9جوان 2015م.

[4] - مداني كلثومة أمينة، بومحراث بلخير: مجلة المعيار، مجلد25، العدد 56، 2021، ص753

[5] - المرجع السابق: مداني كلثومة أمينة، بومحراث بلخير: ص3

أحضروا معهم لعبة الفروسية الخاصة بهم وتسمى لعبة الجريد ولعبة القي ولعبة الميدان، ويعود للأتراك الفضل في إدخال البنادق والبارود مكان الرّماح مما أضفى على لعبة الفروسية طابع خاص حتى سميت بلعبة البارود.

بعد طرد الأتراك واحتلال فرنسا للجزائر تم تطوير هذا النوع من الفروسية، وضعت إدارة اللعبة تحت إشراف المكاتب العربية واستحدثت فرق من القوم من السّكان المحليين.[1]

3. التعريف بالرمكات

وردت لفظة الرمكة في قواميس ومعاجم اللغة العربية بمعاني ودلالات عديدة، وعند مطالعة جريدة المبشر نجد لفظة الرمكة طاغية في كتاباتها في حديها عن الخيل والفرس، وكل ما تعلّق بالاعتناء بها وتربيتها، وبالمسابقات والتظاهرات التي تنظّم من أجلها في عمالات الجزائر.[2]

إن مفرد الرمكات هو الرمكة والمقصود بها الفرس أو البرذونة أنثى الفرس وذكرت في العديد من القواميس والمعاجم ومنها في تصحيح التصحيف وتحرير التحريف:[3]

- ويقولون رَمْكةُ والصواب رَمَكَةُ" والرَمَكَةُ الأنثى من البراذين والجمع رماك، وأرماك، ورمكات.

---

[1]- المرجع السابق: مداني كلثومة أمينة، بومحراث بلخير: ص10

[2]- مصطفى خروس: المداخلة تاريخ الرمكة بولاية غليزان، تأصيل تاريخي وجغرافي واثني، ندوة محلية بعنوان: الرمكة وضواحيها، أبحاث في تاريخ المنطقة المحلي، يوم 13 اوت 2022، بمكتبة بلدية، الرمكة. ص1.

[3]- صلاح الدين الصفدي: تصحيح التصحيف وتحرير التحريف، المجلد 1، ط1، 198 الصفحة 288

- كما أنّ لفظة مَكَر، ركَم، ورَمَكَ، كَرَم، كَمَر: تدور حول التغطية والستر.[1]

- وفي تاج العروس تطلق الرَّمكةعلى محركة الفرس.[2]

- وجاء عند الصغاني أنّ الرمكان هو الموضع، وأرمك الشيء بمعنى لطف ودق.[3]

- يجوز أن تكون تسمية الرمكة هكذا لأنها ليس لها سرعة الجياد فتكون مأخوذة من رمك بالموضع اذ أقام فيه أرادوا أنها بطيئة الانتقال.[4]

- وكان للخليفة المعتمد جارية تدعى الرمكية، وهناك قصيدة مشهورة قالها وزيره **ابن عمار فيها وفي خليفته قائلا:** [5]

تخيّرتها من بنات الهجان رمكية ما تساوي عقالا

فجاءت بكل قصير العذار لئيم النجارين عما وخالا

- وذكرت الرمكة كإسم لحيوان في قصة فرعون وموسى، لابن الحداد قائلا" فلما أتى فرعون الساحل ورأى بني اسرائيل قد عدوا البحر جاء جبريل على رمكة.[6]

- وفي كتاب تعطير الأنام في تعبير المنام فسّرت رؤية الرمكة بالمرأة الجارية، أو الحرّة الشريفة.[7]

---

[1] - عبد الرحمان بن محمد القماش: الحاوي في تفسير القرن الكريم مج481، ص679.

[2] - محمد الحسيني: تاج العروس، مج67، ط6 دار الفكر، ص178.

[3] - الحسن بن محمد الصغاني: - كتاب التكملة والذيل والصلة، دار الكتب والوثائق القومية، 1970، ص203.

[4] - ابو العلا المعري: كتاب اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي، تحقيق حد سعيد المولوي، مركز فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ص852.

[5] - أحمد المقري: نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس - المجلد 4 - الصفحة 213

[6] - أبو بكر بن علي الحداد: تفسير أبي بكر الحداد كشف التنزيل في تحقيق المباحث والتأويل، مج6، تحقيق محمد ابراهيم يحي، دار المدار الاسلامي، ط1، 2013، ص 653.

[7] - عبد الغني النابلسي: تعطير الأنام في تعبير المنام، مج1، د.ط، دار الفكر، بيروت، د.ت، ص137.

- وفي شرح النووي على مسلم، في باب حكم ضفائر المغتسلة، ذكر حديث لأم سلمة* هند وقيل إسمها أيضا رمَكة[1].

- ويقال بعتك هذه النعجة فإذا هي رمكة، وهناك من يقول غير ذلك والمقصود به البغلة.[2]

- وتقول رمكة كميت، وبرذون كميت والمذكر والمؤنث سواء.[3]

بعد هذ الشرح والتأويل يبدو أن اسم منطقة الرمكة مأخوذ من اسم الفرس والتي تدعى الرمكة. وهي إحدى بلديات ولاية غليزان. حيث أننا عندما نعود للمصادر التاريخية التي تتحدّث عن منطقة الونشريس، وعن قبائل بني وراغ لا تذكر كلمة الرمكة بل تذكر مصطحات: بني دفلتن، بني وراغ، والونشريس.

4. نظام مسابقة الرمكات

هو عادة سلكت الادارة الفرنسية على إحيائها في الجزائر في وهران وقسنطينة والجزائر ومستغانم كل عام في شهر سبتمبر، وضعت لها نظام وقوانين تنظّم كل سنة من شهر سبتمبر في العمالات الثلاث: قسنطينة والجزائر، وهران، وهذا النظام كانت تعلنه جريدة المبشر كل عام للتوضيح والإعلام والدعاية.

---

* هي أم المؤمنين هند بنت أبي أمية ووالدتها عاتكة بنت عامر كانت نعم الزوجة للنبي عليه الصلاة والسلام. ينظر: مينة عمر الخراط، أم سلمة العاقلة، العالمة، أم المؤمنيين، ط1، 1995، دار القلم، بيروت، ص ص 7576.

1- ابو زكريا النووي: شرح النووي على مسلم - باب حكم ضفائر المغتسله، طً، دار احياء التراث العربي، بيروت، 1386ه ص11.

2- كمال الدين الدميري: حياة الحيوان الكبرى، تهذيب، تصنيف أسعد الفارس، د. ط، طلاسم للدراسات والترجمة والنشر، د.م.ن، 1992. ص514

3- عبد العزيز الميمني: كتاب ما تلحن فيه العوام للكسائي، عبد العزيز الميمني: كتاب ما تلحن فيه العوام للكسائي، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1995، ص33

كان مهرجان الخيل يقام وفق قوانين الدولة الفرنسية، يشارك فيه الجزائريون والفرنسيون وخصت كل عمالة بوقت محدد للمسابقة، وتأطير وتنظيم هذا الاحتفال كان وفق شروط وضوابط تراعي كل جوانب المنافسة الرياضية (الخيل الفارس المكان الزمان الجوائز والمكافئات العقوبات والمخالفات الغرامات الخاصة بالمشاركة قبل المسابقة هيئة تأطير المسابقة).

5. نصائح البايلك فيما يخص فحول الخيل

وضعت الإدارة الفرنسية في الجزائر جملة من النصائح والتوجيهات لمربي الخيول وملاكها نذكر منها: [1]

- التحفظ من حرّ الشمس وبرد الليل.
- بناء مرابط واسطبلات لها والقدرة على حمايتها من الحر والبرد.
- أن يكون البناء لفحول الخيل بعيدا عن الرمكات كما في عادة العرب، حتى لا تكون النزوة بلا فائدة، وحتى يحافظ الفحل على صحته ولياقته.
- أن تحصل النزوة مرة واحدة في اليوم حتى يحافظ الفحل على صحته.

6. محتوى القوانين والاوامر الصادرة

6. 1. الأمر الصادر 1845

يدعو القانون إلى نزو[2] الخيل بالبليدة، ومستغانم وعلايق بغرب عنابة، ويحدد أماكن النزو ويحدد كيفيات النزو وهي كالتالي:

- أن تكون صفة الفحل مثل صفة الرمكة في الشكل والطول والعرض.

1- جريدة المبشر، 15 فيفري1854 ص675

2- نزا: يقال نزا نُزُءً، بمعنى نزع وأغرى. ينظر: معجم الوسيط، ط 4، مكتبة الشروق الدولية، 204، ص915.

- إذا كان الفحل أكبر من الأنثى ستكون النتيجة فاسدة و إذا كانت الرمكة عريضة لا يضرها الفحل.

- تجنب نزو الدواب العايبة لأن المهور ترث أمراضها.

- المحافظة على الحيول الحرة وتوارث صفاتها الحميدة.

- تجنب العيوب التالية: الصدر الضيق، الظهر الضعيف، والضلوع العالية، والقوائم الرقيقة والأزرار الضعيفة.

- لابد أن يكون الفحل أجمل من الفرس.

- العقلانية والتمييز في النزو محافظة على صحة الفحل.

- تجنّب نزو الفحل مع الفرس الرديئة، لأنها تنتج مهور قوية في الصحة لكنّها فاسدة في التركيب من حيث الذات والقوائم وهذا يؤثر على دوام سيرها.

- النصح بالخيل المتوسطة القامة لأنّها قادرة على الصبر على الجوع والعطش والسير.

- أمّا الرمكة لتي بها عيب لا تصلح إلا بعجل الحمير والرمكة الحرة يجب تجنبيها من فحل الحمير و إذا كانت متوسطة فالأمر يعود لمالكها.

- الابتعاد عن القهر والقوة وأن يكون للناس الحرية في عمليات تلقيح الخيل.

6. 2. فحول خيل الأعراش

اشترطت أوامر الحكومة أن تكون الأيام موحدة فيما يخص نزو الفحول وذكرت أن الناس ترغب دوما في الرمكات الجيّدة للفحول واعتبرته خطأ وتعديا والاغنياء يجدون سهولة في إيجاد فحول جيدة للخيل عكس الفقراء.

كما أشارت إلى عمليات نزو فحول الحمير ومنها فحول عجمية والقيام بنكح الرمكات من فحول الحمير له تاريخ محدد، ويشترط في ذلك أن تكون أنثى

الحمار سليمة من العيوب لتكون النتيجة سليمة والهدف من ذلك هو تحسين جودة الحمير، حتى تتولّد بغال أشد قوة وضخامة من عمليات التخصيب، والمعروف أنّ الأوروبيين والأمريكيين سعوا إلى تحسين سلالة خيولهم عن طريق تهجينها بالسلالة العربية[1].

حددت الدولة وضع دفر لعملية النزو تدون كل تفاصيل أرباب الفحول وأرباب الرمكة والحاصل هو إنتاج بغال جيدة ولائقة بقيمة الحمير الأجنبية التي يتراوح ثمنها بين 8000 فرم و12 الف فرنك.[2]

كانت الإدارة الفرنسية تحرص في سياساتها على تشجيع تربية الخيول والمواشي فتقارير المكاتب العربية ومفتشية الاستيطان كانت تحفظ عدد الحيوانات منها الخيول والحمير والتي تستعمل كوسيلة للزراعة.[3]

7. شروط مسابقة الخيل في العملات الثلاث

حددت إدارة مسابقة الخيول مجموعة شروط لخوض السباق السنوي للخيول فحددت كل التفاصيل المتعلقة بالخيل والفارس والمكان والزمان والجوائز والمكافئات كما حددت العقوبات والمخالفات التي تقع على المخالفين لنظام المسابقات، وعينت اللجان المشرفة على السباق من البداية الى النهاية:

---

[1]- زكريا كورشون: الخيول العربية في الوثائق العثمانية، الوقع الالكتروني: https: ll jbhsc.ae

[2]- المبشر، المصدر السابق، ص 676

[3]- بن عيمة عبد المجيد: المكاتب العربية ودورها في المد الاستعماري بالغرب الجزائري 1870/1844م تيارت، سعيدة، جيري فيل، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الاثار، كلية العلوم الانسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 20132014م، ص189.

- أن تكون المسابقة في كل عمالة في شهر سبتمبر (وهران، مستغانم الجزائر قسنطينة).

- تنظّم المسابقة على شكلين هما: سرعة السبق، وطول المسافة.[1]

- أن تفسير أمور السباق تكون تحت اشراف جنرالات العملات.

- مسابقة بلد معين لا يدخلها آخر من عمالة أخرى.

- يقوم والي الجزائر بإجراء مسابقة عمومية للفائزين على مستوى العملات الثلاث.

- تقسيم سرعة السبق على شكلين: واحدة للفرنسيين والأخرى للعرب.

- أن يكون السباق مرتّب كالتالي الأغاوات مع بعضهم والقياد مع بعضهم والعامة مع بعضهم.

- كل فرنسي يريد دخول المسابقة يدفع قَدَرا معلوما عن كل جواد لوالي الجزائر ونفس الشيء للعرب الذين عليهم الدفع كل سنة قبل الإمتحان وقد جاء في جريدة المبشر: **" أن النصارى الذين يريدون السبق يستحق أن يكتبوا إلى صاحب بيرو العرب ويدفعوا بيده ثمن الدخول المعلوم وذلك يومين قبل المسابقة، وأما المسلمين من العرب يكتبون اسمهم عند حكام بيروات عرب بلادهم وهناك يدفعوا ثمن الدخول "**[2].

- للقياد والأغاوات والأعيان حرّية ركوب خيولهم بأنفسهم داخل ميدان السباق أو تكليف أخرين عنهم.

- دخول المسابقة مفتوحة لكل جنس كان.

1 - المبشر، المصدر السابق.

2 - جريدة المبشر: المصدر السابق، ص732

- أن والي الجزائر لا تعنيه المسابقات خارج بايلكه.

- جنرال العمالة هو المكلف بأمور المسابقة.

- تحضير وتعيين ميدان السبق يقع على عاتق قيادة العمالة.

- الفصل في الخلاف بين المتسابقين.

- كل من ظهر حيلته وخبثه في ميدان السبق يحرم من عام إلى غاية حرمانه نهائيا من السباق على الدوام.

- تقسيم زمن السباق الى مرحلتين هما: البداية والنهاية.

- تقبل في السباق المهور والرمكات.

- تحديد وزن الفرس والفارس وتحديد عقوبة من يتحايل في الوزن.

- استخدام الناقوس للسبق ويضرب في كل وقت معين.

- تحديد علامة وصول الجواد، و إذا وقع شك فعلى جماعة تنظيم السباق النظر في الخلاف.[1]

- اشتراط لباس السباق، فالفرنسيين لهم كسوتهم والعرب لهم كسوتهم حسب عادات كل قوم.

- فيما يخص مسابقة الغرب مرة تنظم في وهران ومرة أخرى في مستغانم.

- تكون المسابقة في الجزائر يوم 27 سبتمبر أمّا وهران وقسنطينة 15 سبتمبر.

8. الدعاية لسباق الخيل والهدف منها

مع بداية احتلال فرنسا للجزائر راح ضباطها وخبرائها يبحثون عن أساليب وطرق ووسائل لاستثمارها في تقريب السكان المحلّيين وكسبهم إلى صفوفهم

1 - المبشر، المصدر السابق، 15 أوت 1854، ص724

فانتهجوا الكثير من السياسات مثل: القوانين، الإجراءات، مشاريع اقتصادية واجتماعية، توظيف المناسبات الدينية لصالحهم، تشجيع الطرق الصوفية الموالية لهم تعيين القضاة والأغاوات المشهورة والمعروفة التي عملت لصالح الأتراك، بناء المدارس الفرنسية من المناسبات التي استغلها الاحتلال الفرنسي لدعايته الاستعمارية، وتشجيع وتطوير رياضة الخيل. وكلّ هذه السياسات تؤدي نحو إلحاق الجزائر بفرنسا.[1]

كانت فرنسا تُحيي مسابقة الخيل كل عام ومثال ذلك في مستغانم وكانت جريدة المبشر تكتب إعلانا لذلك كل ما اقتربت هذه المناسبة **"وقد وقع ملعب عظيم بمسابقة الخيل في هذه الأيام بمستغانم[2].**

تحدّثت جريدة المبشر عن مسابقة الخيل التي انعقدت بتاريخ 30أوكتوبر 1848م بمستغانم وحضرها قادة وأعيان وزعماء بايلك الغرب وهم: محمد بلحاج بني وراغ، محمد ولد سي العربي خليفة الوطن، الحاج جلول أغا فليتة، عبد القادر بن داوود أغا تيارات، الشاذلي أغا بني مسلم، وغيرهم حضروا من مستغانم وأحوازها[3]، من تيارت وعمي موسى ومعسكر وسيدي بلعباس ووهران.

أمعنت الجريدة في وصف مهرجانات رياضية والعلو من شأنها مبرزة إعجاب الحاضرين ومحاسنها وفرح الناس "من تمام العافية، والاستقامة لطاعة الدولة الفرنساوية وصار الأمن والأمان في سائر البلدان، وحمدوا اللّه وشكروا

---

1 - أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، 18301900م، ج1، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت 2، 199، ص17.

- جريدة المبش: المصدر السابق، 30 نوفمبر1848، ص2.120

3 - نفسه.

صنيع الدولة الفرنساوية "[1] والمتمعن لمقالات هذه المجلة يعرف أنها كانت دعائية، تبشر بإنجازات فرنسا كما هو واضح من اسمها.

كانت أهداف هذه المسابقة كثيرة ومتعدد في نظر الفرنسيين ومن كان في خدمتهم من الجزائريين، فجريدة المبشر التي كتبت كثيرا عن هذه المناسبة السنوية أبرزت الغاية منها ففي حديثها عن مسابقة مستغانم التي نظمت سنة 1849م في شهر ذي الحجة تقول: **" وتزيّن الميدان في غاية النزهة لما شاهدت الدولة الفرنساوية في ذلك من الفوايد منها اجتماع العرب من كل وطن، وحصول المعرفة والألفة بينهم كذا عقدهم التجارة والمعاملة وليشاهدوا حسن حرثة الفرنساوية هناك مع عمارة البلاد "**[2]، إضافة إلى أن حضور ميدان السباق يجعل الكل يقتدي بمحاسن هذه العادة السنوية.

لم تجد سياسة الفرنسيين في إحياء هذه المسابقات آذان صاغية عند الكثير من الجزائريين، خاصة وأن بداية القرن التاسع عشر شهدت ثورات شعبية ذات بعد وطني تحرّكها الغيرة على الأرض والعرض والدين، فكانت خيولهم رهن إشارة زعماء وقيادات هذه الثورات وكانوا يتوجسون خيفة من الأهداف الدنيئة للاستعمار الفرنسي من تنظيم هذه المسابقات واهتمامه بتجويد وتحسين نوعيتها التي ترمي إلى استخدام هذه الخيول في الحرب وجعلها في خدمة عسكر فرنسا" **وقد كان يقول لكم المفسدون أن مراد الفرنساوية غصب خيلكم لخدمة العسكر**

1- أبو القاسم سعد الله: المصدر السابق.

2- جريدة المبشر: المصدر السابق، 30 أوكتوبر1849، ص 208.

فقد تبين الآن كذبهم"[1] ويعتبر زوهير إحدادن هذه السياسة الاستعمارية نوع من التقرب من المسلمين[2].

9. فوائد رياضة الخيول [3]

من المعروف أنّ الخيول مفيدة في أوقات الحروب، وكانت كثيرا ما تذهب ضحية هذه الأحداث والتطورات، والمقاومات الشعبية في الجزائر اعتمدت بالدرجة الأولى عليها، كما كانت فرنسا تصادر خيول القبائل والعروش المشاركة فيها، وكثيرا ما كانت عرضة للضياع والموت مثلما حدث مع قبائل حميان الغرابة بسبب العصيان فهاجمتهم الجيوش الفرنسية فغنمت منهم الغنم والبعير وفي ظلّ حرارة الشمس مات الكثير من الخيول.[4]

ويظهر جليا أنّ المسابقة المنظمة كل عام نوع من الدعاية الفرنسية "وقد اجتمع قوم عديدة من عرب وفرانساوية ليتفاوتوا بركض الخيل ونال الفائز منهم ما عينه البايلك له وكلهم شاهدوا اكرام الضيافة والانعام من ولات الدولة الفرنساوية..."، [5]وتروّج للتآلف والمحبة بين العرب والفرنسيين فتقول: "ولما كان هذا المجمع موافقا لعادة العرب ازداد عقد المحبة بينهم وبين الفرانسيس حتى صاروا إخوة "[6].

1- جريدة المبشر، ص، 212.

2- زوهير احدادن: الصحافة المكتوبة في الجزائر، ط، ديوان المطبوعات الجامعية 2012.

3- جريدة المبشر: المصدر السابق، ، ص 208.

4- جريدة المبشر: 30 جويلية 1848، ص96.

5- نفسه، ص118.

6- نفسه، ص118.

خصوصا وأنّ هذه المسابقة تشرف عليها وتديرها مكاتب عربية المتخصصة لتتقرب من السكان والعمل على كسب ودّهم وتبيّض صورة فرنسا في نظرهم، وتقديم المساعدات والمعونات لهم من أجل خدمة قضية الاستعمار.

أحبَ الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام الخيول حبًا كثيرًا، وأوصى بإكرامها والاعتناء بها وبنظافتها، وذكرها في الكثير من الأحاديث النبوية الشريفة، كما أوصى بضرورة تعلم مهارة ركوب الخيل وتعليمها للأطفال، وقد رويت مجموعة أحاديث نبوية عن الخيل:

- قال الرسول: "اربطوا الخيل وامسحوا بنواصيها وأعجازه".''

- قَالَ رَسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: "الْخَيْل فِي نَواصِيهَا الْخَير إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَة".[1]

- وصى النبي بالاهتمام بالإناث من الخيول، حيث قال: "عليكم بإناث الخيل فإن ظهورها عز وبطونها كنز"[2].

إنّ الفترة التي تتحدث عنها جريدة المبشر متقاربة زمنيا مع مقاومة الأمير عبد القادر، حيث كان ينظم لفرسانه تدريبات على الخيل في داخل المعسكر وهو ما يبرزه بيير بروجير في رحلته عندما كتب عما رآه بعينيه حول الفرسان وهم يستعرضون مهارتهم أمام الأسرى الفرنسيين والتهجم بالسّيف كرا وفرا، و إطلاق النيران من بنادقهم أمام الأمير[3]

1- سعيد بن وهف القحطاني: كتاب فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد الطبعة: الأولى، 1421ه

2- علي ابن هذيل: كتاب حلية الفرسان وشعار الشجعان دار المعارف للطباعة والنشر، القاهرة1951،

3- ادريان بيير بروجيير رحلة وفد فرنسي لمقابلة الامير في البويرة ترجمة وتعليق ابو القسم سهد الله ص3

وللأمير عبد القادر أشعار كثيرة في شعر الفخر والفروسية: [1]

إذا مـا لقيـت الخيـل، إنـي لأول و إن | جـال أصـحابي فـإني لهـا تـال
أدافـع عـنهم مـا يخـافون مـن ردى | فيشـكر كـل الخلـق حسـن فعـالي
وأورد رايـات الطعـان صـحيحة | وأصـدرها بـالرمي تمثـال غربـال
ومـن عـادة السـادات بـالجيش تحتمـي | وبـي جيشـي يحتمـي وتحـرس أبطـالي
وبـي تتقـي يـوم الطعـان صـحيحة | تخـالينهم فـي الحـرب أمثـال اشـبال
إذا مـا اشـتكت خيلـي الجـراح تحممـا | أقـول لهـا: صـبرا كصـبري واجمـالي

ويقول في موضع اخر مفتخرا ببطولته وببسالة جنوده وقوة تحمل جواده: [2]

ومـا زلـت أرمـيهم بكـل مهنـد | وكـل جـواد همّـه الكـر لا الشـوى

تستعمل رياضة الخيول تحضيرا للحروب والمعارك، ومن الأفضل ممارستها والتمرّس عليها، وهذا ما تجسّد في المقاومات الشعبية التي اعتمدت على فروسية رجالها كالأمير عبد القادر الجزائري الذي انطلقت شرارة مقاومته عام 1832م.

حثّ الرسول الكريم على حسن العناية بالخيول، حيث يجب على الفارس تقديم الأعلاف لها ومعالجتها بالشكل الذي يفيد البنية الجسمانية للخيل. والخيل ليس عليه صدقة أو زكاة في حالة استخدامه في سبيل الله، أما في حالة التجارة

1- الأمير عبد القادر الجزائري: ديوان الشاعر الأمير عبد القادر الجزائري 18071883م، جمع وتحقيق، شرح وتقديم العربي، ط3، مطبوعات ثالة، 2007، ص49.

2 - الأمير عبد القادر الجزائري: المصدر السابق، ص54.

يجب دفع زكات، ومربي الخيل مأجور إذا اغتنى به واستخدمه في الدفاع على الإسلام، أما من يستخدمه في محاربة الدين الإسلامي فهو مذنب.

- زيادة الافراح والبهجة.
- زيادة تربية الخيول.
- الحصول على المكافئات والجواز من الدولة.
- الحصول على المزلة والعظمة لدى الحكومة.
- لها فوائد جسدية وعقلية ونفسية.
- إنّها واجب ديني مثلما حثت عليه سنة نبينا الكريم.

استنتاج:

في نهاية هذه الدراسة نستخلص أن:

- تنظيم سباق الخيل في العهد الفرنسي رغم أنها ظاهره رياضة وفروسية إلّا أنّه كان نوع من الدعاية الفرنسية لتثبيت الأطروحة الاستعمارية التي تدور حول نشر الحضارة والتمدين.

- كانت الدعاية الفرنسية تعتمد على ترسانة من الضباط والخبراء وبعض الموظفين من المسلمين الذين أثبتوا ولائهم لفرنسا كالقياد والأغوات.

- إن اشهار و إعلان هذه المسابقات في الجرائد الاستعمارية كان يهدف لحشد المجتمع الجزائري وراء المشروع الاستعماري الفرنسي، و إظهار قوّة و إمكانيات فرنسا.

- إنّ القارئ لجريدة المبشر تظهر له شكليا محاسن كتابتها وأدبها إلّا أننا نكتشف خطورة ما تدسّه من سموم مغرضة تستهدف هوية الجزائر.

- احتوت المبشر الفرنسي على كميات كبيرة من معلومات غزيرة في شتى المجالات والميادين تمس الثقافة والمجتمع والعلوم والبيئة والطبيعة، والتنظيم، والقانون، والصحة وغيرها من مكاسب الحضارة الأوروبية.

المصادر والمراجع:

1.ابن هذيل علي: كتاب حلية الفرسان وشعار الشجعان دار المعارف للطباعة والنشر، القاهرة1951،

2.أبو الفيض محمد بن محمد، الزبيدي مرتضى: تاج العروس من جواهر القاموس،
دار الهداية.

3.أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، 18301900م، ج1، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت 199،2.

4.ادريان بيير بروجيير رحلة وفد فرنسي لمقابلة الامير في البويرة ترجمة وتعليق أبو القسم سعد الله.

5.إحدادن زوهير: الصحافة المكتوبة في الجزائر، ط، ديوان المطبوعات الجامعية 2012،

6.الأمير عبد القادر الجزائري: ديوان الشاعر الأمير عبد القادر الجزائري 18071883م، جمع وتحقيق، شرح وتقديم العربي، ط3، مطبوعات ثالة، 2007.

7.بن عيمة عبد المحيد: المكاتب العربية ودورها في المد الاستعماري بالغرب الجزائري 18441870م تيارت، سعيدة، جيري فيل، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الاثار، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، جامعة وهران، 20132014م.

8.بن محمد القماش عبد الرحمان: الحاوي في تفسير القرن الكريم مج481.

9. بوطقوقة مراد: مجلة الفكر المتوسطي، العدد 9جوان 2015م.

10.الدميري كمال الدين: حياة الحيوان الكبرى، تهذيب، تصنيف أسعد الفارس، د. ط، طلاسم للدراسات والترجمة والنشر، د.م،ن، 1992.

10.كرليل عبد القادر: نشأة الصحافة في الجزائر، مجلة المصادر، العدد11.

11.معجم الوسيط، ط 4، ، مكتبة الشروق الدولية، 204.

12.مداني كلثومة امينة، بومحراث بلخير: مجلة المعيار، مجلد25، العدد 56، 2021

13.المقري أحمد: نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، المجلد 4

14. الميمني عبد العزيز: كتاب ما تلحن فيه العوام للكسائي، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1995. النابلسي عبدالغني: تعطير الأنام في تعبير المنام، مج1، د.ط، دار الفكر، بيروت، د.ت 15.النووي أبوزكريا: شرح النووي على مسلم - باب حكم ضفائر المغتسله، طً، دار احياء التراث العربي، بيروت، 1386ه.

16.مجلة المبشر، مطبعة دار السلطنة، الجزائر.

17.الحداد أبو بكر بن علي: تفسير ابي بكر الحداد «كشف التنزيل في تحقيق المباحث والتأويل، مج6، تحقيق محمد ابراهيم يحي، دار المدار الاسلامي، ط1،.2013

18.سعيد بن وهف القحطاني: كتاب فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد الطبعة: الأولى، 1421ه.

19 سعدالله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، ط1، ج5، دار الغرب الإسلامي، 1998.

20.الصفدي صلاح الدين: تصحيح التصحيف وتحرير التحريف، المجلد 1، ط1، 198.

الحسيني محمد: تاج العروس، مج67، ط6 دار الفكر.

الخراط مينة عمر: ، أم سلمة العاقلة، العالمة، المؤمنين، ط1، 1995، دار القلم، بيروت21.

22. خروس مصطفى: المداخلة تاريخ الرمكة بولاية غليزان، تأصيل تاريخي وجغرافي واثني، ندوة محلية بعنوان: الرمكة وضواحيها، أبحاث في تاريخ المنطقة المحلي، يوم 13 اوت 2022، بمكتبة بلدية الرمكة.

23.كورشون زكريا: الخيول العربية في الوثائق العثمانية، الموقع الالكتروني: https: ll jbhsc.ae

الجزائر من خلال كتابات الأسير الإسباني ميغيل دي سيرفانتس

توطئة

1. شخصية الأسير الإسباني ميغيل سيرفانتس

2.المدينة المحروسة.

3.من العمل البحري الى القرصنة.

4.معاملة الأسرى في مدينة الجزائر.

5 نقد وتقييم لشخصيته وكتاباته.

إستنتاج.

المصادر والمراجع.

توطئة:

لقد أغرقت الكتابات الأوروبية مسألة القرصنة في بحر من الزيف والتضليل لدرجة أنّ كلمة القرصنة كانت مرادفة في العادة لكلمة اللصوصية، وعنوان يطلق على البحرية والبحارة المغاربة في هذا العصر وتزايد في النصف الثاني من القرن 16م نشاط القراصنة الأوربيين فيما أصبح يعرف بالقرصنة الأوربية.

حظيت مدينة الجزائر بنصيب أوفر من كتابات الأسرى المسيحيين الذين وقعوا كغنيمة حرب بأيادي البحارة الجزائريين خلال الفترة العثمانية، ومن هؤلاء الأسير الإسباني ميغيل دي سيرفانتس الذي قبض عليه عام 1575م، دوّن تجربة الأسر في مجموعة كتابات شخصية بعيدا عن الموضوعية هدفها تمجيد الشخصية الأوروبية، وتشويه الشخصية الإسلامية.

يهدف بحثنا لتسليط الضوء على شخصية الأسير الإسباني سيرفانتس، وصورة مدينة الجزائر فيها، والاشكالية المطروحة فيه تتمحور حول مدى موضوعية شهادات هذا الأسير الإسباني؟ وكيف كانت صورة مدينة الجزائر فيها.

1. شخصية الأسير الإسباني ميغيل سيرفانتس

هو أحد الأسرى الإسبان الذين وقعوا أسرى في يد البحرية العثمانية عام 1575م، الابن الثاني لرودريغو سيرفانتس، وقد عاشت أسرته وتنقلّت بين عدة مدن إسبانية من مدينة فالا دوليد (مدينة الوليد)، ثم مدريد، فإشبيلية، لتعود من جديد إلى مدريد عام 1666م لتستقر بشكل نهائي فيها، أصبح سيرفانتس أديبا وشاعرا انخرط في الجيش عند وجوده بروما، سنة 1569م، وهنا كان التحولّ في حياته خاض عدة معارك، لكنّه تعرّض للإصابة بمرض الحمى وتعافى منها

بصعوبة، اشترك في الحرب التي كانت قائمة بين العالم المسيحي والعالم الإسلامي في الفترة الحديثة، أصيب بجروح بليغة، وتمت مكافأته بمنحة مالية نظير مساهماته على أعماله وشجاعته، عاد بعد ذلك إلى إسبانيا حاملا توصية من الدون خوان والدون دوسيسي نائب ملك صقيلية إلى الملك الإسباني فيليب الثاني، وعند وصول السفينة التي تحمله إلى المياه المقابلة لشواطئ مارسيليا، اعترضتها سفن جزائرية بتاريخ 26سبتمبر1575م، أَسِرته هو وأخيه رودريغو، ومجموعة من الإسبانيين وأخذوا الى مدينة الجزائر[1].

عاش ميغيل سيرفانتس تجربة صعبة في مدينة الجزائر، كأسير، حاول الهرب عدّة مرات، إلا أنّ الداي كان يعفي عنه ويفضل بقائه في الأسر، لتتواصل معانته إلى غاية تحريره بعدما أرسلت والدته فدية قدرها 500دوقية، عاد على إثرها إلى إسبانيا، ليجد نفسه في وضعية جد مزرية، لضعف موارد المالية[2].

2. المدينة المحروسة

كان يطلق على الجزائر في هذا العصر في المعاهدات والمراسلات الدبلوماسية التسميات مدينة ومملكة الجزائر أو جمهورية الجزائر، ولا نلاحظ استعمال كلمة الإيالة إلاّ عند بداية المنتصف الثاني من القرن 18م حيث كان يرد هذا المصطلح في المراسلات بين حين وآخر، والذي لم يصبح سائدا في الاستعمال إلاّ بعد عام 1790م، أمّا في المعاهدات فقد بقي استعمال التسميات الآنفة

1 - جديد هدى: دون كيشوت في الوراية الجزائرية، دراسة مقارنة في نماذج، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في الأدب العام والمقارن، كلية الأداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم اللغة العربية وأدابها، جامعة باجي مختار، عنابة، 20112012، ص07.

2 - جمال قنان: معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619 1830، دار هومة، ص 64

الذكر، ففي كتاب "معاهدات الجزائر" مع فرنسا لجمال قنان تظهر صورة مدينة الجزائر التي سنسقطها على كتابات الأسير سيرفانتس بالجزائر، حسب تقرير أحد الدبلوماسيين الفرنسيين يقول فيه: **"أن الجزائر كانت تعتبر أهم مدينة وأشهرها على السواحل الافريقية أصبحت لا يتجاوز عدد سكانها الأن خمسة وعشرين أو ثلاثين ألف نسمة [1].**

كان تعداد القوات العسكرية الدائمة التي تتمثل في الأوجاق لا تتجاوز الستة آلاف رجل، وكان نصف عدد القوات العسكرية موّزعة في شكل حاميات على مختلف مدن البلاد والنصف الآخر مقسّم إلى محلّات تجوب في المناطق لاستخلاص الضرائب والباقي يشكل حامية مستقرة في مدينة الجزائر وأنّ عدد عساكر هذه الحامية خلال شهور الصيف لا يتجاوز الألفين وخمسمائة رجل[2].

من خلال التمعّن في هذا التقرير ينكشف لنا أنّ قدرات المراقبة والحراسة والدفاع عن مدينة الجزائر تقل وتضعف في فصل الصيف، وهذه النقطة بالذّات يتحدّث عنها الأسير سيرفانتس لمّا كان يخطط من خلال مؤامراته للهروب من الأسر فقد ركّز على فترة الصيف لأنّ سكان الجزائر يغادر معظمهم إلى الجبال بحثا عن الهواء النقي وكثيرا ما استغلها الجواسيس الأوروبيون عند جولاتهم في مدينة الجزائر.

ويضيف التقرير نقطة مهمة جدا بكشف عورة المدينة، " ويحيط بالمدينة سور ضعيف التحصين تتخلله عشرة أبراج صغيرة...والحصن الذي بني مؤخرا في

1 - جمال قنان: المرجع السابق، ص91.

2- نفسه، ص91.

مقرّ البحرية لا يتعدى سمكه قدما ونصف ،وتوجد به سته مدافع ومحاط بسور عادي ليست له شرفات تحميه وهو في حالة سيئة جدا"[1]، هذا التقرير هو من التقارير التي يتدرج تحت مسمى التجسّس مما يجعلنا نأخذ به على محمل الجد، فمثلا عندما يفضح حالة الأسوار لمدينة الجزائر فيصفها بالسيّئة، وهذا يسهّل على الفارّين والهاربين من المتابعة والأسر تجاوزها إلى الخارج، وإلّا كيف نبرر هروب الأسير الإسباني سيرفانتس أربع مرّات من السّجن من داخل أسوار القصبة، هذا التقرير مدوّن من قبل دبلوماسي فرنسي على عهد لويس الرابع عشر الذي اعتلى العرش بعد 1671م، مما يسمح بالوقوف على الوضعية الحقيقة لمدينة الجزائر وطرح إشكالية مدى تحصينها منذ أواخر القرن 16م؟.

وهناك شهادات حيّة لمن مروا بمدينة الجزائر أو دخلوها كتجار ومبعوثين أو أسرى عن مدى القوة والمناعة التي تتمتع بها المدينة التي "شّيدت مطلّة على البحر الأبيض المتوسط ومعلّقة فوق جبل تحيط به الحيطان القوية. والاستحكامات والكثبان الموضوعة[2]، وقد كتب وليم دافيس" **أن الجزائر مدينة بهيجة قوية يحكمها الترك وتقع على الجانب الأيمن لتلّة ولها استحكام قويّ من المواقع العسكرية والقلاع والأرصفة ذات المغارات الكبيرة المسلحة"[3].**

1- وليم سبنسر: الجزائر في عهد رياس البحر.تعريب وتقديم عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، 2006، ص51.

2- نفسه، ص51.

3- جمال الدين سهيل: ملامح من شخصية الجزائر خلال القرن 11 ه/17 م، مجلة الواحات ، عدد13، قسم التاريخ، المركز الجامعي غرداية، 2011، ص142

3. من العمل البحري إلى القرصنة:

أغرقت الكتابات الأوروبية مسألة القرصنة في بحر من الزيف والتضليل لدرجة أنّ كلمة القرصنة كانت مرادفة في المفهوم الشائع لكلمة اللصوصية، وعنوان يطلق على البحرية والبحارة المغاربة في هذا العصر، [1]وتزايد في النصف الثاني من القرن 16م نشاط القراصنة الأوربيين فيما أصبح يعرف بالقرصنة الأوروبية، ومع نهاية هذا القرن وبداية القرن 17م وعلى إثر منع الملك جيمس الأول لأعمال القرصنة والغارات في البحار غيّر القراصنة الأوربيون موانئهم في إنجلترا و إيرلندا، واتجّه كثير منهم نحو سواحل شمال إفريقيا.

لذلك ظهرت عمليات الدفاع البحري عن النفس قادها رياس البحر في عرض البحر المتوسط لمطارة سفن القرصنة الاوروبي، أو السفن التجارية الأوربية التي ليس لها مع الجزائر اتفاقية أو معاهدة، وحسب ما يورد الأسير سيرفانتس في عريضته إلى الملك فيليب أن ذكر بعض رياس البحر مثل القلج علي[2]، في معرض حديثه عن معركة ليبانت كما نجد الأسير هايدو قد تطرق إلى الحديث عن بعض حكام الجزائر مثل القائد قلج علج وغيره، هذا يلفت الانتباه أنه سواء العريضة التي تحمل صيغة قانونية ورواية الأسير التي توحي بالعالم الخيالي الذي حلم به سيرفانتس، وصنع أبطاله فيه وحبك فيه الأدوار حسب هواه نجده ينعت الحكام

1 - في 1574 تمكن علج علي من استرجاع تونس والقضاء على الدولة الحفصية وطرد الإسبان وأسر السلطان الحفصي مولاي محمد وقائد الحصن الاسباني قابريو سربلوني وارسلا الى اسطمبول. نقلا عن حسين بوخلوة: عبد الكريم الفكون القسنطيني، حياته واثاره، 1580/ 1680. ر: مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الاسلامية، قسم الحضارة الاسلامية، جامعة السانية ص20.

2-جمال قنان: المرجع السابق، ص32

الـذين عايشــهم بالقســوة والغلظـة، سـوء المعاملـة وكأنّـه يعمـم هـذه الاتهامـات والأحكام على كل السلاطين والمسؤولين الجزائريين في تلك الفترة.

ثم أنّ ممارسة العبودية بشكل مطلق ضدّ الأسير المسيحي يكشف تلك الذاتية الجامحة والحقد الدفين الذي يسكن أعماقه مـن خلال نـص العريضـة التـي يعمم فيها نعت القرصنة على البحرية الجزائريـة، ولكـن علينـا أن نفرّق بـين السـفن التابعة للدولة والسفن المملوكة للخواص، ومـن البـديهي أنّ المعاملـة التـي يحظـى بها الأسير عند الاستلاء على سـفينته قـد تتغيـر فهنـاك المعاملـة الرسـمية للأسـير، وهناك المعاملة غير الرسمية التي تمارسها سفن الخواص، والباحث فـي الكتابـات الاوروبية يصطدم بسيل من الأوصاف والأحكام عن مدينة الجزائر.

4. معاملة الأسرى في مدينة الجزائر

يبدو من القراءة الأولى للأسطر الأولـى لكتـاب سـيرفانتيس تحاملـه علـى حكام الجزائر وسياساتهم ومعاملاتهم تجاه الأسـرى ولـو أن هـذا الأسـير كـان يصـف نفسه والأخرين وحالتهم كحال العبيد، وهذا الوصف لابد مـن الوقـوف عنـده، ثـم إنّـه بهـذا الوصـف يـتهم الإسـلام والمسـلمين فـي الجزائـر بطريقـة غيـر مباشـرة بتطبيـق سياسة العبودية التي حرّمها الإسلام نهائيا مادام أنه يكـرر مصـطلحات لهـا دلالات و إيحاءات سلبية بداية من عمليـه أسـره مـع شـقيقيه رودريغـو سـنة 1575م وبعـد محاولة عودة سيرفانتس الى بلاده اسبانيا، عنـدما ادّعـى أنهمـا عـوملا بعنـف وهـذا عند قراءتنا للعريضة التي أرسلها للملك فيليب، مع بداية السطور الأولى.

يبدو لنا أن كتاباته في العريضـة، تلمّـح إلـى أنّ الأتـراك صـعاليك، وقطـاع طـرق لـيس يحكمهـم قـانون ولا شـريعة ولا وازع دينـي ولا يقبلـون إلا لغـة العنـف

والسيف والحرب[1]، ولا ننسى أنّ أمور الحرب لا يتساهل معها الإسلام ومن الصعب بل المستحيل القيام بأيّ تحرّك عسكري جزائري نحو السفن الأوربية، سّواء التجارية أو الحربية إلّا بقانون ونظام وللدين رأي ونظر فيه، طبعا.

لا ننسى العلاقات بين الجزائر والدول الأوربية خاصة اسبانيا وفرنسا كانت قائمة على أسس ومبادئ[2] أقرّتها مجموعة من المعاهدات فهل مدينة الجزائر أرض العبودية، ووكر القراصنة واللصوصية من خلال إيحاءات الألفاظ حسب تخيّلات سيرفانتس.

هذا الطبيب الألماني هابنسترات الذي زار مدينة الجزائر تتصف مذكراته بالموضوعية عكس الإسبان، فهو الذي شاهد في هذا الشأن حالة الشقاء التي عانى منها الجزائريون بمرسيليا مقارنة مع وضعية الأسرى المسيحيين بشمال افريقيا، فالأسرى الجزائريون لا يستطيعون إلا بشق الجهد جرّ أغلالهم الثقيلة بينما الأسرى المسيحيون في الجزائر يظلّون يتمتعون بحريتهم. ويضيف: **"والأسير المسيحي يستطيع ان يحصل على حكم عادل عن أيّ معاملة سيّئة يتلقاها من سيّده عندما يثبت ما يؤكد تظلمه "**[3].

عوّدتنا الكتابات المسيحية بالتهجّم على الجزائر ومنها كتابات المسيحيين من فرنسيين و إسبان وغيرهم ومنهم ميغيل سيرفاتس الذي كتب في

---

1 - من هذه المبادئ: التسامح الديني، مبدأ خصوصية الشرائع، مبدأ الحصانة القنصلية

2 - ج.أو هابنسترايت، رحلة العالم الالماني ج، أوهابنسترايت الى الجزائر وتونس وطرابلس، (1145ه 1732) ترجمة وتقديم وتعليق ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الاسلامي، ص46

3 -نفسه، ص46.

عريضته القانونية بذهنية إسبانية حاقدة، وبشعور ديني مسيحي مغرض عن سوء معاملة الأسياد وحكام الجزائر للأسرى.

5. نقد وتقييم لشخصيته وكتاباته:

يعد كتاب «شهادات الأسر ومشاهد الكتابة "لميغل دي سيرفانتس في الجزائر (1575-1580)" للباحث محمد عبد الكريم أوزغلة إضافة للمكتبة الجزائرية، أماط اللّثام بها عن شخصية إسبانية مسيحية المتمثلة في سيرفانتس الأديب والروائي الشهير الذي ملئت شهرته الكثير من الكتب والمؤلفات في العالم.

لا تهمنا شخصية سيرفانتس الأدبية والروائية المبهرة في نظر الأدباء والكتاب والروائي و إنّما يهمنا الجانب التاريخي الذي يتجلّى من بين ثنايا العريضة القانونية وقصة الأسر اللتان تلمحان إلى أوضاع وظروف عاشها سييرفانتس في الجزائر منذ 1575م.

إنّ شخصية سيرفانس من أعلى سفينة حربية في البحر الى داخل مغارة الجزائر إلى غاية تحرّره من الأسر تتخللها الكثير من الأحداث والتطورات نجد أثارها وانعكاساتها في مخيلته التي كتب بها العريضة القانونية التي بعثها إلى الملك الإسباني لتبييض صورته و إثبات براءته موثّقة بالشهادات والدلائل.

على المؤرخ أن يتوغل في أعماق الذات السيرفانتسية المملوءة بالأسى، واليأس والحقد الديني والتعصّب القومي فحتى لولم يقصد سيرفانتس الكتابة بهذا المخيال، إنطلاقا من وعيه فإنّه بلا شك فتراكمات الأحداث المأساوية التي عاشها في حياته منذ صباه إلى غاية كبره وأسره وفشله في تحقيق المجد والثروة انعكست سلبا على اللاوعي السرفانتسي والعقل الباطن لديه.

صوّر اللاوعي الذي كتب به العريضة مدينة الجزائر كأرض للقرصنة، والعبودية يسيطر عليها حكام غلاظ جفاة لا يهمهم إلّا جمع الثروة والمال حيث نستشف من بين الأسطر العقل الإسباني الذي يحاول تشويه صورة الرجل المسلم وذلك من خلال الأوصاف والنعوت التي أطلقها في عريضته مثل: الوحشية التي يتصف بها السّلاطين والمعاملة القاسية من طرف الأسياد وسوء المعاملة، ويظهر هذا جليا من خلال العريضة عندما يتحدّث سيرفانتس عن محاولات فراره في المرات الأربع، حيث يتخيّل شجاعته وجرأته وهو يواجه الأتراك بعد انكشاف قصّة هروبه من السّجن، هذه المحاولات يذكرها كما لو كانت فيلما سينمائيا يحسن اختيار أبطاله، ونهايته المشوقة.

فحديث سيرفانتس عن مقدرته على الكذب والتمويه من أجل حماية أقرانه من المسيحيين الذين حاولوا الفرار والوقوف بكل افتخار أمام السّلطان بدون خوف من العقوبة مدعاة للتشكيك والتهكم والسّخرية، فبهذا يلمّح إلى سذاجة حكام الجزائر وخضوعهم لأوامر مستشاريهم وعشوائية أفكارهم وأحكامهم، وأكثر من ذلك عندما يبيّن تردد السّلطان في عقابه، ونجاته في كل مرة من العقاب، ونتساءل كيف لهذا الأسير الإسباني أن ينجو من العقاب في حين تعرّض قناصل، وسفراء أجانب للقتل بسبب حوادث بسيطة؟

هناك قضية أخرى حيث يُبرز المخيال السيرفانتسي البطولة والشجاعة الإسبانية التي لا تقهر أمام حفنة من القراصنة الذين يتصفون بالوحشية والمعاملة السيّئة والجشع وممارسة العبودية وكأنّ مدينة الجزائر مغارة قراصنة، سهل عليه الانفلات منها ومن أغلالها.

استنتاج:

- تعتبر شخصية ميغيل سيرفانتس جدّ مشهورة في أوروبا والعالم لما قدمه من إسهامات للأدب العالمي.

- كانت تجربة الأسر لسيرفانتس كغيرها من تجارب الأسر التي تعرّض لها الأوربيون في الجزائر، تحمل جوانب تاريخية مهمة تساهم في تدوين الأحداث التاريخية.

- كانت قضية الأسر والقرصنة إحدى العوامل الخطيرة التي وتّرت العلاقات بين الجزائر والدول الأوروبية، أدّت في النهاية إلى التكتل الأوروبي ضدّها منذ بداية القرن 19، وتوجيه حملات عسكرية ضدّها تسببت في فقدان قوّتها وكسر شوكتها في الحوض الغربي للمتوسط.

- تحتاج كتابات هذا السير الى مزيد من الدراسة والتدقيق لما جاء فيها من مبالغة وتضخيم للأنا وتقزيم للآخر.

- رغم الهالة القدسية لشخصية سيرفانتس التي يصبغه عليها الروائيين والكتاب والأدباء في العالم إلّا أنّ كتابات المؤرخين يجب أن تحترز من هكذا تقديس لشخصية من أن سيرفانتيس إسباني متأزّم أناني، اقصائي، للأخر المسلم.

المصادر والمراجع:

1.بوخلوة حسين: **عبد الكريم الفكون القسنطيني، حياته واثارهن1580** 1680 مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الاسلامية، الحضارة الاسلامية، جامعة السانية.

2 بن جديد هدى: **دون كيشوت في الرواية الجزائرية، دراسة مقارنة في نماذج،** مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في الأدب العام والمقارن، كلية الأداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم اللغة العربية وأدابها، جامعة باجي مختار، عنابة، 2011201207.

3. وليم سبنسر: **الجزائر في عهد رياس البحر.** تعريب وتقديم عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر.

4.سهيل جمال الدين: ملامح من شخصية الجزائر خلال القرن 11 ه/17 م، **مجلة** الواحات، عدد13، قسم التاريخ ، المركز الجامعي غرداية، 2011.

5.قنان جمال، معاهدات الجزائر مع فرنسا، 1619 1830، دار هومة.

6.ج.أو هابنسترايت: **رحلة العالم الالماني ج.أوهابنسترايت الى الجزائر وتونس وطرابلس،(1145ه** 1732) ترجمة وتقديم وتعليق ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الاسلامي.

صورة واد ميزاب في مذكرات القنصل الأمريكي وليا م شالر

توطئة.

1.التعريف بشخصية ويليام شالر.

2.جغرافية بني ميزاب.

3.الظاهرة العمرانية.

4.النظام الاجتماعي لأهل ميزاب.

5. الحياة الاقتصادية.

6.المجتمع الميزابي.

الخاتمة.

المصادر والمراجع.

توطئة:

اهتمت الكتابات الأجنبية بتدوين تاريخ الجزائر وبجميع جوانبه الثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والحضارية ونجد ذلك في كتابات الرّحالة، والسّفراء والقناصل ورجال الدين والجواسيس، زودتنا بمعلومات تاريخية قيّمة عن منطقة ميزاب.

رغم هذه المعلومات إلّا أنها تحتاج الى قراءة متأنيّة وتحليل موضوعي، بسبب ما يخالطها من غموض وتزييف وتحريف وأهدافها المغرضة التي تسعى لتشويه صورة الجزائر والجزائريين، ونحن اخترنا مذكرات القنصل الأمريكي شالر ويليام لنتوقف عند أهم ملاحظاته عن واد ميزاب وسكانه وعاداته وتقاليده وجغرافيته.

يمكن أن تندرج معلوماته في خانة الاستعلامات التي تجمعها القنصليات والسفارات في الجزائر كسلاح في يدّ الدول الأجنبية التي تسعى للهيمنة والسيطرة على الجزائر.

نسعى من خلال دراستنا إلى إثارة اشكالية صورة منطقة واد ميزاب في كتابات القنصل الأمريكي ويليام شالر، ومدى موضوعيته؟

1. التعريف بشخصية ويليام شالر

ويليام شالر رجل سياسي أمريكي مشهور تجنّد في القوات البحرية برتبة ضابط بين سنتي 1803 1808م الأمر الذي أكسبه خبرة وتجربة كبيرة، إضافة إلى اطلاع واسع في مجال الجغرافيا. مارس العمل الدبلوماسي كقنصل عام في

هافانا عاصمة كوبا قبل سنة 1812م[1] ثمّ عيّن فيما بعد في الجزائر كمفاوض عن بلده في معاهدات الصلح ثمّ كقنصل عام للولايات المتحدة في الجزائر من 1816م إلى غاية 1824م[2] ليعود بعدها إلى هافانا وقد حظي القنصل بمكانة متميّزة لدى الوزراء والشخصيات التركية، وكان الداي عمر باشا نفسه يبدي له شعور التقدير، ويحسن استقباله[3].

أستدعي في الكثير من المرات إلى تمثيل بلده والمشاركة في مختلف المفاوضات الداخلية والخارجية، تُوفي بالكوليرا في هافانا بكوبا بتاريخ 29 مارس سنة 1833م عُرف واشتهر وليام شالر بكتابه الموسوم في الترجمة العربية لإسماعيل العربي ب: المذكرات في بوسطن سنة 1826م بدار كومينكز هيليارد وشركائه.

عرف الكتاب عند صدوره رواجا كبيرا بسبب اهتمام العالم كلّه بالجزائر من جهة وبسبب جهلهم بتفاصيل البلاد ونظام الحكم وبحقيقة الشعب الجزائري من جهة أخرى، وما زاد الكتاب أهمية وخطورة حين صدوره أنّ كاتبُه مفكر وسياسي معروف عبّأه بالرّوح الصليبية والأطماع الاستعمارية التي كانت العقيدة الشائعة والفكرة الرائجة حينها كلّ هذا زاد من الإقبال على الكتاب والاهتمام به. يركّز القصل الأمريكي على العلاقات بين الجزائر وبلاده كما يشير إلى علاقات الجزائر

1- Sana.haddou ;Rahmouna Bellil: Al_***Naciriya journal*** of sosiological and hostorical studies ،vol11،issue1،june2020،p68.

2- حادة مصطفى: نظرة بعض القناصل الأمريكيين للعلاقات الجزائرية الفرنسية في العهد العثماني، جامعة تيارت، ص129.

3- ويليام شالر: مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816/1824، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، تعريب وترجمة اسماعيل العربي، ص15.

مع باقي دول أوروبا ولأهميته تمّت ترجمته والاستفادة من المعلومات الواردة فيه من طرف الجيش الفرنسي[1].

2. جغرافية بني ميزاب

حدد شالر جغرافية الجزائر، فمن الغرب توجد مملكة المغرب الأقصى ومن الشمال البحر الأبيض المتوسط، ومن الشرق تونس، ومن الجنوب الصحراء الكبرى وعن هذه الأخيرة يقول: **" يمكننا أن نلاحظ أن الحدود الصحراوية لا تتجه في خط مستقيم... هي التي تسمى على خرائط افريقية ببلاد الجريد وهذه الأراضي يحيط بها الغموض ولا يمكن الحديث عنها قبل أن تستكشف بصورة أفضل"**[2]. وتحدّث عن تأثّر الشمال بهواء الصحراء الحار التي تهبّ من حين لأخر في فصل الصيف وتدوم حتى خمسة أيام **" ترتفع درجة الحرارة لتصل إلى 108درجة فهرنهايت "** [3].

كتب ايرنست شانتر Ernest chantre عن الطبيعة التضاريسية للمنطقة قائلا: " تسكن كونفيدرالية الميزابيين أربع واحات صحراوية في جنوب الجزائر في وسط هضبة صخرية للغاية تقطعها في جميع الاتجاهات وفيها وديان صغيرة غير منتظمة وكأنها شبكة".[4]

فالوجود السكاني في المنطقة يعود لألاف السنين، ومع مرور العصور استطاع الإنسان التكيّف والتأقلم مع طبيعة وجغرافية بني ميزاب، وهذه الأخيرة

1 - ويليام شالر: المصدر السابق، ص77.

2 - نفسه، ص28.

3 - نفسه، ص29.

4 - Ernest. chantre: les mozabites، esquisses ethographique et anthropométrique ، bulltin de socété d'anthropoloqie de lyon ،1910، 29p86

على شكل هضبة صخرية كلسية متوسطة الإرتفاع بين 500 و700 م تقع شمال الصحراء، بعض الأودية الممتدة من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي، والعاصمة غرداية اليوم تقع عند تقاطع الخطين 32 درجة و30 دقيقة شمالا و03 درجة و45 دقيقة شرقا [1].

تعتبر بني ميزاب منطقة واقعة في الصحراء الجزائرية والمسافة بين مدينة الجزائر وبينها عشرون يوما كما يقول ويليام شالر [2]، وتقع هضاب واد ميزاب شرقي متليلي وهو يستغرب من هذه لمسافة حسب ما ورد لعلمه ويعترف بأنه لم يتحصّل على معلومات دقيقة بخصوص هذه المسافة وأشار الى الوضع السياسي والإداري للمنطقة فيقولّ: **"والحكومة لا تستطيع أن تتخلّص من شعور الخوف وسوء الثقة نحو جميع هذه الشعوب.."** كما عدّد القنصل الأمريكي أهم مناطق ميزاب التي هي: غورديكا، بيريجان ورقلة انجوسا نديم.

يشير الأغواطي في رحلته إلى أنّ واد ميزاب يضم ستة بلدان وقرى هي بني يزقن، وبونورة، والعطف، مليكة، سيدي سعيد وكبرها مدينة غرداية، ويذكر عدد السكنات المتوزعة فيه بحوالي 2400مسكن.

3. الظاهرة العمرانية

لم يتطرق القنصل الأمريكي للجانب العمراني مما يثبت محدودية معلوماته عكس غيره ممن كتبوا عن منطقة ميزاب، وكان بوسعه الحصول على

1 -حاج أمحمد براهيم: العمران في مزاب وفن تهيئة المجال الحيوي (الأعراف الاجتماعية، والانعكاسات العمرانية)، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد خاص بالملتقى الدولي تحولات المدينة الصحراوية، تقاطع مقاربات حول التحول الاجتماعي والممارسات الحضرية، ص197.

2- ويليام شالر: المصدر السابقص110.

معلومات دقيقة من الكثير من المصادر المتوفرة لديه مثل التجار والسّكان الميزابيين المقيمين في مدينة الجزائر الذين تعود أصولهم إلى غرداية **"وغرداية لها سور ولها سوق كبير ومناراتان وبوابتان في السور"**[1].

يذكر الأغواطي في رحلته* إلى الجنوب من الأغواط أنّ المسافة بين الأغواط ورأس الشعب يوما واحد[2] ومن الشعب الى سافل الفياض يوم واحد ومن هنا إلى الخدم أيضا مسافة يوم ثم سارلى اللفحات ومن اللفحات إلى متليلي[3].

رغم أنّ القنصل الأمريكي لم يزر واد ميزاب إلا أننا نعتمد رحلة الأغواطي الذي هو شاهد عيان لوصف واد ميزاب، ووجدنا أن ما دوّنته الرّحلة كان دقيقا في بعض جوانبها بنسبة كبيرة فمن الناحية الجغرافية فمتليلي عبارة عن هضاب، تكسوها صخور حادة، والأمطار قلّما تنزل فيها[4].

ذكر العديد من الرحالة الطابع العمراني للمدن والقرى والمناطق التي مرّوا بها أو أقاموا فيها، وقد ذكرت منها مراكز عمرانية: كورقلة وتوات وقرى بني ميزاب،

1- الحاج ابن الدين: رحلة لأغواطي، تحقيق ابو القاسم سعدالله، بعة خاصة، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الحراش، 2011، ص90.

* نشرت هذه الرحلة باللغة الإنجليزية من طرف مساعد القنصل الأمريكي في الجزائر وهو هودسون وجاءت في 29 صفحة، وقبلها كانت مكتوبة بخط مغربي في حوالي 14 صفحة، كما ترجم النص الأصلي إلى الفرنسية مجلة أخبار الرحلات الفرنسية، كما ترجمها الفرنسي السيد دافينزاك1832م، ويذكر أبو القاسم سعدالله أن النص الأصلي لهذه الرحلة كتبت في نهاية عهد هودسون بالجزائر حوالي 1829م. ينظر: المصدر السابق، ص83.

2- نفس المصدر ص89.

3- نفسه، ص89.

4- رحلة الأغواطي: المصدر السابق، ص90.

عين صالح، هذه المراكز كلّها محطّات انطلاق أو عبور أو استراحة للقوافل حسب اتجاهاتها[1].

يأخذ منطق البناء في واد ميزاب تاريخيا بعين الإعتبار حفظ التوازن البيئي، وهذا ما ساد بناء القصور السّبعة بميزاب في فترات زمنية متباعدة ما بين القرن 04هـ و11 هـ، [2] ويعكس العمران الميزابي فكر ونفسية وثقافة وسلوك المجتمع.

4. النظام الاجتماعي لأهل ميزاب

تطرّق شالر إلى التنوّع السّكاني الذي طبع مدينة الجزائر مقرّ الحكم، وسمّاهم بالأجانب الذين ينتمون لعدّة قبائل مستقلّة عن حكم الأتراك **"وفي مقدمتهم الميزابيون والبسكريون والقبائل العربية الكبير أو أبناء القبائل"**[3]، ويذكر القنصل الأمريكي أنّ بني ميزاب يعيشون وفق نظام اجتماعي محكم يسمى بالعزاب، حيث تخضع كل قبيلة إلى مجلس عزابي يتكون من 12 عضو والذين ينتخبهم الشعب، ورجّح عدد سكان بني مزاب ب250000 نسمة، ولو أنّه يقر بعدم صحّة الرقم لأنّ معلوماته مستمدة مما سمعه من أحد طلبة بني مزاب [4].

لنظام العزابة بعد اجتماعي واقتصادي وثقافي أسّسه الشيخ عبد اللّه محمد بن أبي بكر الفرسطائي، يشكل مرجعية ومنهج قويم للمجتمع الميزابي ويقول

1 - رشيد حفيان: الطرق والقوافل التجارية بين الحواضر المغاربية وأثرها الحضاري في العهد العثماني خلال القرنين 1112ه /1718م، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية الأداب والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة.، 20132014، ص110.

2 - حاج أحمد ابراهيم، المرجع السابق، 222.

1- ويليام شالر: المصدر السابق، ص92.

4 - ويليام شالر: المصدر السابق، ص 111.

توفيق المدني في سياق ذلك: «**ولقد كوّن الميزابيون حضارة وعمرانا في هذه المراكز التي كانت من قبل قاعا صفصفا واستمروا عائشين بها يعضون بالنواجذ على مذهبهم الإباضي وسط الأعاصير المحيطة بهم"**[1].

والمعروف أن مذهبهم ينسب إلى عبد الله بن أباض وقد أسهبت العديد من المصادر الإسلامية بوصفهم خوارج وهذا كلام يحتاج إلى مراجعات عميقة، خاصة وأن كتابات بني ميزاب اليوم تنفي انتمائهم لطائفة الخوارج، وتمسّكم بعقيدة أهل السّنة. ويؤاخذ على ويليام شالر عدم تعمّقه في وصف المظاهر الحضارية والثقافية والاجتماعية لمنطقة بني ميزاب، فالمنطقة تحتضن أيضا العرب [2].

تكلّم من الناحية الطبيعية والمناخية يسود لمنطقة مناخ حار، وتقلّ فيه الأمطار، وتنتشر فيها مياه الينابيع، كما تعرف إنتاج الشعير بكميات قليلة، وتعرف المنطقة بزراعة النخيل وهناك معلومات لا ندري مدى صحّتها عندما ذكر انتشار جبال حول بني ميزاب غنية بالذهب[3].

5. الحياة الاقتصادية

يشيد وليام شالر بطبيعة ومزاج الإنسان الميزابي، في ممارسة النشاطات التجارية فيقول فيها: **"ومشهورون بالأمانة والنزاهة في الأعمال".**[4]

1 - بكير بن سعيد أعوشن: واد ميزاب في الحضارة الإسلامية دينيا، تاريخيا، اجتماعيا، د.ط، المطبعة العربية، غرداية، 1991.ص66.

2 -M. EM Masqueery: archives des missions scientifiques et littéraires، chois des rapports et instructions ،tom5، ministère de l'instruction publique et de beaux-arts، p474

3 - ويليام شالر: المصدر السابق، ص111.

4 - نفسه، ص111.

فهم يتمتعون بامتيازات سياسية وعلى رأسها الاستقلال عن الحكومة المركزية، وهذا تدعمه كتابات الأغواطي الذي أشار إلى أن غرداية مستقلة عن أيّ سلطة، وعن دورهم التجاري الكبير يوضّح: **" فإلى جانب كونه الوكلاء المعترف بهم والوسطاء في التجارة مع داخل إفريقية فهم يتمتعون باحتكار الحمامات العمومية والقصابات والطواحين"**[1] كما اختصّ الميزابيون بتصفية الزيوت، والجزأرة والأفران.

كانت جماعة بني ميزاب بمدينة الجزائر مُهيكلة كبقية الجماعات المهنية الأخرى مثل: اليهود الذين مارسوا التجارة والحدادة والخياطة، والقبائليون الذين اختصّوا بالحرف وصناعة الفحم وبيعه والبسكريون كانوا يحرسون الغنائم وتجارة الأسواق ووضفوا كحمّالين وخدّام، وفي الحراسة ليلا، إضافة إلى تحضير الخبز والجيجليون إهتموا بشراء الأفران ومنافسة الجماعة الميزابية [2].

وفيما يخص وارداتهم فهم يستقبلون العبيد الذين يشكّلون نسبة كبيرة من الشعب الجزائري ونجد منهم الأصول السودانية، حيث كان التجار الطوارق يحصلون عليهم بالمقايضة وكانت الطبقة الحاكمة والغنية تمتلك العبيد كنوع من التباهي بالثراء[3] والتبر وريش النعام والجمال والتمور، ويصدرون منتوجات صناعية، واعتبرها تجارة محدودة، [4]ويذكر الشريف الإدريسي أهل ورجلان ورقلة وهي إحدى

1- ويليام شالر: المصدر السابق، ص111.

2- صورية متاجر: حنيفي هلالي، بنو ميزاب والأنشطة التجارية في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني في ضوء مخطوط قانون الأسواق، مجلة أنثروبولوجية الأديان، مج 16، ع1، 15 جانفي، 2020، ص132.

3- مؤيد محمود حمد المشهداني، سلوان رشيد رمضان: أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني 1830/1518 مجلة الدراسات التاريخية ولحضارية، مج5، ع16، 2013، ص427.

4- مؤيد محمود حمد المشهداني، سلوان رشيد رمضان: المرجع السابق، ص112.

مناطق الصحراء التي لها علاقات تجارية مع بني ميزاب أنّهم قوم مياسير وأغنياء يجوبون بلاد السودان وغانا، يتاجرون في التبر[1]، ويأتي ذكر بلاد ورقلة لأنها أحد النقاط الرئيسية في التجارة بين الصحراء والشمال، والتجارة عبر واد ميزاب وجاء ذكر المناطق الصحراوية كورقلة في معرض الحديث عن قوافل الحجيج والتجارة عند بعض الرحالة كالعياشي[2] والورتيلاني[3]، وقد عدّد شالر أهمّ منتوجات المناطق الصحراوية وعلى رأسها النخيل الذي ينتج التمور ويصفها باللذيذة[4].

يستخدم الميزابيون الحيوانات في تنقلاتهم والتي تقاوم قساوة الطبيعة وتتحمّل عناء ومشقّة التنقل لمسافات بعيدة كالجمل والبغال والحمير، ويذكرها شالر حيوانات إيالة الجزائر قائلا: **" فإننا نجد هنا جميع أنواع الحيوانات، الدواجن بكثرة بما في ذلك الفرس والثور والجمل والجمل ذوالسنامين والحمار والبغل والغنم والماعز[5]والخيول العربية"[6]**، ويضيف إليها الضباء، والغزلان والماعز الوحشي[7]، والحيوانات المفترسة التي تعيش في أطراف الصحراء الأسود، النمور، الفهود، الضباع، ابن آوى القطط الوحشية.

1- عبد الرحمان الجيلالي تاريخ الجزائر العام، ج2ط2، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، 1965، ص241.

2- عبد الله العياشي: الرحلة العياشية 1663/661م، مج1، تحقيق وتقديم سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، ط1، دار السويدي للطبع والنشر، 2006، ص112.

3 - محمد بن ميمون الجزائري: التحفة المرضية في الدولة البكداشية، في بلاد الجزائر المحمية، تحقيق وتقديم محمد بن عبد الكريم، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص52.

4 - وليام شالر: المصدر السابق، ص30.

5 - نفسه، ص34.

6 - نفسه، ص33.

7 - وليام شالر: المصدر السابق، ص33

ويذكر ليسباس **lespes** أنّ الحمير والأتان منها تستخدم كوسيلة نقل داخلية[1] ونفس الشيء يذكره شالر، وأيضا هنري فيرود **Henri feraud**[2] و أوكابتان[3] **Aucapitaine**، ويعد الجمل الوسيلة الرئيسية في التنقل، ويتحمل الجوع والعطش[4].

شكّلت التجارة بين الشمال والصحراء رافد وعامل أساسي في تجذير وتوطيد الصلات الحضارية بين مكونات المجتمع الجزائري، وهذا ما يذكره عبد الجليل التميمي: **" وهو التبادل التجاري الذي لم يتح لغيرهم بهذه الأهمية والحجم"**[5]. وعن هؤلاء يقول دوماس أوجان **Dumas E**: **"التقيت بهم أثناء إقامتي ببني ميزاب وعرفت أنهم يسيطرون على طريق الجزائر بتديكلت وبهم عزمت على إستكمال رحلتي نحو الصحراء"**[6].

6.المجتمع الميزابي:

في مذكراته عبّر شالر عن إعجابه بصفات الجزائريين **"فإنّ في سلوكهم لياقة ومجاملة وأنا قد وجدتهم في المعاملات اليومية دائما مهذبين ومتمدنين**

---

1 -Lespes: ariation de la population d'Alger avant 1830 » in Armée d'Afrique.nº 11Janvier 1925 p180.

2 -Henri.F et Aucapitaine: notice sur l'histoire et administration du beylik du tittri ،in RA ?N11 ،1867 ،P211: p211.

3 -Aucapitaine: les bni m'zab، vol. 194 (6e série، t. 50)، 1867.p211.

PAUL Soliellet: L'Afrique occidentale ، Algérie ، M'zab ، Tidikelt Avignon ، imp. 4.deF.Seguin Aine ، B.rue bouquerie ، 1874 ، p 121.

5 - التميمي عبد الجليل: الأبعاد الحضارية للصلات المغربية الإفريقية خلال العصر الحديث، المجلة التاريخية المغربية، تونس، ع4950، ص90.

6- DAUMAS، E.، et chancel.A.: Le grand Désert ou intinétaire d'une caravane ، imprimerie etlibrairie centrale de napoléon chais ، paris، 1848 ، p43

و **إنسانيين"**[1] وهم يشكّلون جزء من النسيج الاجتماعي الجزائري، ويحسب لشالر موضوعيته في التعبير عن أخلاق ومبادئ الجزائريين خلال الفترة العثمانية ويقول عن بني ميزاب: **" بيض اللون ولكن ملامحهم ومنظرهم العام تشبه ملامح العرب ومنظرهم "** [2].

وهو يعترف بأن ما دوّنه يختلف عن الرأي العام الشائع في أوروبا وأمريكا، وقد اختلفت الآراء والمواقف من أصول بني ميزاب، إلّا أنّ معظمها تلتقي عند نسبة هؤلاء إلى قبيلة زناتة البربرية ويرى ابن خلدون أن الميزابيين ينحدرون من مصعب بن محمد بن بادين الذي ارتحل مع أبناء إخوته إلى بلاد الشبكة (واد ميزاب)، وهم: عبد الواد، وتوجين وزردال **"وسكانها لهذا العهد شعوب بني بادين من بني عبد الواد وبني توجين ومصاب بني زردال في من يضاف إليهم من شعوب زناتة و إن كانت شهرتها مختصة بمصاب "**[3]، وبذلك يوضّح الأصل البربري الزناتي لبني ميزاب، وشهرتهم بمصاب جاءت لتؤكد أنّه يعتبر العم الأكبر لتوجين وزردال ومصعب، والدكتور بحاز يشير لنفس المعلومة، ويعتبر مصاب اسما بربريا أمازيغيا لا غير اختارته المصادر البربرية لبني ميزاب[4].

وهناك من يقول أنّ أصلهم مختلط بين العرب الأقحاح والبربر، والمرجح أنهم ليسوا من أصل واحد بل هم نتيجة هجرات متتالية وفدت على المنطقة عبر

1- ويليام شالر: المصدر السابق، ص80.

2- نفسه، ص111.

3- عبد الرحمان بن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ديوان العبر، مج7، دار الكتب اللبناني، بيروت، 1978، ص ص124/123.

4- ابراهيم بحاز: الميزابيون المعتزلة، محاضرة ألقيت بمناسبة الذكرى الألفية لتأسيس العطف، الورقة 08.

التاريخ[1]، أمّا القنصل الأمريكي فيعترف بعجزه عن تفسير أصول بني ميزاب عندما تساءل حولهم: هل يمكن اعتبارهم أحفاد الجيتول أم فرع من القبائل النازحة إلى المنطقة[2]

تحدّث القنصل عن عادات وتقاليد المزابيين، إضافة إلى مهنهم ومعتقداتهم وعلاقاتهم ببعضهم البعض، فملامحهم بيضاء تشبه العرب دينهم الاسلام وتطرف إلى مذهبهم الديني قائلا: **"ولكنهم يخرجون عنه في مسائل يصعب عليا شرحه"**[3]، والملفت للانتباه ادعائه أنّ المزابيين لا يؤدّون الصّلاة في المساجد العمومية وأنّه يعقدون اجتماعاتهم وصلواتهم في مجلس خارج المدينة[4] **وقد علمت أن الذي يمنعهم من الصلاة في المساجد العمومية هو أنهم يعتبرونها أماكن غير طاهرة**[5]، وتبدو ثقافته الدينية عن الميزابيين ضعيفة، وكذلك الأغواطي الذي أخلط في معلوماته فيما تعلّق بالجانب الديني لبني مزاب، فهم في نظره يرفضون تقديس الصّحابة ويعارضون أهل السنة ويتفقون مع الوهابية والفرس وسكان عمان ومسقط في المذهب ويعتبرهم معتزلة.

لأسباب تاريخية وجغرافية وسياسية شكّلت الجزائر ملتقى مختف العقائد والمذاهب والتيارات الدينية، حيث دان أهل الجزائر بمذهب أهل السنة المالكية،

---

1 - محمد وقاد: جماعة بني ميزاب وتفاعلاتها الاقتصادية والاجتماعية بمدينة الجزائر أواخر العهد العثماني (1112ه1246ه/ 1700م 1830م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 20092010، ص32.

2 - ويليام شالر: المصدر السابق، ص112.

3- نفسه، ص113.

4 - ويليام شالر: المصدر السابق ص 112.

5 - نفسه، ص112.

والأشعرية، إلاّ أنّ بلاد ميزاب وجزيرة جربة بتونس وجبل نفوسة بطرابلس ظلّت متمسكة بعقيدة الخوارج الإعتزالية متمذهبة بمذهب الإباضية.[1]

وينتقد أبو القاسم سعدالله رأي الأغواطي في تحقيق رحلته، واعتبره ينمّ عن ضعف ثقافي، وديني وأنّ الميزابيين من فرقة الخوارج حسب أهل السنة، وليسوا معتزلة [2].

أما من الناحية اللغوية فالمزابيون ينطقون لغة سكان الأمازيغ تقريبا إلا أنّها تتميز بالأناقة والنقاوة، ويرجع ويليام شالر هذا إلى طباعهم الهادئة وعاداتهم. لكن أوصافه للسكان ليست دقيقة، عكس من كتبوا عن واد ميزاب، فالأغواطي شاهد عيان يقول: **"ولغة السكان هي العربية والبربرية وهم يركبون الجمال ومسلحون بالبنادق، والسيوف"**[3].

أما ملابس بني مزاب فلم يشير لها لا من قريب ولأمن بعيد، عكس كتاب أخرين الذين تعرّضوا لهذا الجانب، فالرجل الميزابي يرتدي غندورة قطنية في فصل الصيف، وفي فصل الشتاء تكون الغندورة من الصوف متعدد الألوان مع خطوط كبيرة، ورأسه يعلوه شاشية، ولباسهم البرنس والحايك[4]، كما تميّز بنو مزاب بالنشاط والاقتصاد والإجتهاد.[5]

كما أنّ ظاهرة التكافل والتضامن الاجتماعي المستوحاة من قوانين نظام العزابة لم تكن حاضرة في مذكرات القنصل الأمريكي، فالأطفال يساعدون أبائهم

---

1 -عبد الرحمان الجيلالي: المرجع السابق، ص252.

2- رحلة الأغواطي: المصدر السابق، ص90.

3 - رحلة الأغواطي: المصدر السابق، ص90.

4 -Ernest chantre ،op.cit،p87.

5 -Ernest chantre ،op87-

في الزراعة وارشاد وقيادة الإبل والحمير في سن مبكرة وتستخدم هذه الحيوانات في المبادلات، أمّا النساء فيجتهدن في صناعة الأقمشة الصوفية في البيوت لتباع في الأسواق كالبرنونس **burous** والغندورة **Gandouras** والحايك **Haiks**والقربة **Garba**[1]، وهذا النوع من النسيج ذكره شالر عندما تحدّث عن ملابس سكان مدينة الجزائر مثل: العمامة والبرنوس والشاشية والحايك[2].

إنّ الميزابي هو السيّد في عائلته لا يمكن للأطفال إمتلاك شيء دون إذنه، والمرأة عندهم لا يمكنها أن تذهب بعيدا عن البلاد إن لم تكن مستحيلة عكس الرجال الذين أصبحت الهجرة عندهم قاعدة أساسية [3].

وفي مسألة الزواج يبيّن ايرنسيت أنّ الرجل المزابي يكتفي بزوجة واحدة رغم أنّ الإسلام يسمح له بالتعدد، لكن هذه المعلومة غير صحيحة عند مقارنتها بالمصادر الإباضية، وبعادات وتقاليد الزواج اليوم عند المزابيين، فالزواج عندهم بأكثر من زوجة أمر مألوف ويقرّه الإسلام وفق شروط ويقول السيد قطب: **" أنّ الإسلام لم ينشأ التعدد بل حدده ولم يأمر بالتعدد بل رخّصه لمواجهة واقعيات الحياة البشرية وضروريات الفطرة الإنسانية"**[4]. والطلاق في المجتمع المزابي قليل ما يحدث، ويعدد إيرنست أوصاف الميزابيين المورفولوجية، فبشرتهم بيضاء باهتة، وشعرهم دائما بني أو غامق، والعيون سوداء أو بنية أو باهتة[5].

1- Ernest chantre ،op،88..

2 -ويليام شالر: المصدر السابق، ص ص8485.

3 - Ernest chantre ،op،p88.

4 - سماح معمر، لخضر بن ساهل: تعدد الزوجات دوافعه وانعكاساته على الأسرة، دراسة تحليلية، مجلة الإحياء، مج 29، ع 21، أكتوبر 2021، ص911.

5 -Ernest chantre ،op،p90.

كما أشار القنصل الأمريكي إلـى نشـاطهم التجاري والحرفـي[1]، ويصـف الميـزابين بالشعب الأصيل الذي لم يغـزوه أحد، ونكتشـف أن معلوماتـه عـن بنـي ميـزاب مـن مصدرها الطالب الميزابي الـذي التقـى بـه فـي مدينـة الجزائـر، حيـث يقـول أن شـعب التوارق يتميّزون بالوحشية، والانتشار في الصحراء ولغتهم تشبه لغة بني مزاب.

1 -رحلة الأغواطي: المصدر السابق، ص112.

استنتاج:

من خلال ما سبق نستنتج:

- إنّ مذكرات القنصل الأمريكي تحمل معلومات غزيرة عن الجزائر تخص الجغرافية والسياسة والاقتصاد والمجتمع والثقافة، مهمة للباحث والمؤرخ.

- تندرج كتابات ويليام شالر ضمن خانة الاستعلامات والتجسس على الجزائر على غرار ما دوّنه مبعوثي أوروبا وقناصلهم من تقارير ورسائل طوال ثلاث قرون تحضيرا لاحتلالها.

- تعكس هذه المعلومات نفسية وعقلية المسؤول الأجنبي الذي يهدف من ورائها إلى الاستفادة من تقاريره لصالح بلده.

- تحمل مذكرات وليام شالر معلومات تاريخية عن منطقة ميزاب في الجانب الاقتصادي، والسياسي والثقافي، والطبيعي، والسكاني.

- انّ معلومات القنصل الأمريكي عن بني ميزاب لم تكن واسعة وكافية في المجالات الثقافية والاجتماعية والدينية على عكس ما كتبه أقرانه من الأوربيين أو الرحالة الذين مرّوا بها.

المصادر والمراجع:

1.ابن الدين الحاج: **رحلة لأغواطي**، تحقيق ابو القاسم سعدالله، طبعة خاصة، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الحراش، 2011.

2.ابن خلدون عبد الرحمان: **تاريخ ابن خلدون، ديوان العبر**، مج7، دار الكتب اللبناني، بيروت، 1978.

3. بحاز ابراهيم: الميزابيون المعتزلة، **محاضرة** ألقيت بمناسبة الذكرى الألفية لتأسيس العطف.

4،بن سعيد أعوشن بكير: واد ميزاب في ل الحضارة الإسلامية دينيا، تاريخيا، اجتماعيا، د.ط، المطبعة العربية، غرداية، 1991.

5.بن ميمون الجزائري محمد: **التحفة المرضية في الدولة البكداشية، في بلاد الجزائر المحمية**، تحقيق وتقديم محمد بن عبدالكريم، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

6.**الجيلالي** عبد الرحمان **تاريخ الجزائر العام**، ج2ط2، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، 1965.

7.متاجر صورية وهلالي حنيفي، بنو ميزاب والأنشطة التجارية في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني في ضوء مخطوط قانون الأسواق، ***مجلة*** أنثروبولوجية الأديان، مج 16، ع1، 15 جانفي، 2020.

8.المشهداني مؤيد محمود حمد، سلوان رشيد رمضان: أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني 15181830، ***مجلة*** الدراسات التاريخية ولحضارية، مج5، ع16، 2013.

9. معمر سماح، بن ساهل لخضر: تعدد الزوجات دوافعه و إنعكاساته على الأسرة، دراسة تحليلية، ***مجلة*** الإحياء، مج 29، ع 21، أكتوبر 2021.

10.ويليام شالر: **مذكرات وليام شارل قنصل أمريكا في الجزائر 18161824**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، تعريب وترجمة اسماعيل العربي.

11.حادة مصطفى: نظرة بعض القناصل الأمريكيين للعلاقات الجزائرية الفرنسية في العهد العثماني، جامعة تيارت.

12. وقاد محمد: **جماعة بني ميزاب وتفاعلاتها الاقتصادية والاجتماعية بمدينة الجزائر أواخر العهد العثماني (1112ه1246ه/ 1700م 1830م)**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 20092010.

13.حاج أمحمد ابراهيم: العمران في مزاب وفن تهيئة المجال الحيوي (الأعراف الاجتماعية، والإنعكاسات العمرانية)، **مجلة** العلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد خاص بالملتقى الدولي تحولات المدينة الصحراوية، تقاطع مقاربات حول التحول الاجتماعي والممارسات الحضرية

14.العياشي عبدالله: **الرحلة العياشية 6611663**م، مج1، تحقيق وتقديم سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، ط1، دار السويدي للطبع والنشر، ، 2006.

15.رشيد حفيان: **الطرق والقوافل التجارية بين الحواضر المغاربية وأثرها الحضاري في العهد العثماني خلال القرنين 1112ه/1718م**، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية الأداب والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 20132014.

16.التميمي عبدالجليل: الأبعاد الحضارية للصلات المغربية الإفريقية خلال العصر الحديث، ***المجلة*** التاريخية المغربية، تونس، ع4950.

17.DAUMAS، E.، et chancel.A.: **Le grand Désert ou intinétaire d'une caravane** ، imprimerie etlibrairie centrale de napoléon chais ، paris، 1848.
18. Aucapitaine: les bni m'zab، vol. 194 (6e série، t. 50)، 1867
19.PAUL Soliellet: **L'Afrique occidentale ، Algérie ، M'zab** ، Tidikelt Avignon ، imp..deF.Seguin Aine ، B.rue bouquerie ، 1874.
20.Lespes: ariation de la population d'Alger avant 1830 » in Armée d'Afrique،nº 11Janvier 1925.
21.Henri.F et Aucapitaine: notice sur l'histoire et administration du beylik du tittri ،in RA ?N11 ،1867.
22. M. EM Masqueery: archives des missions scientifiques et littéraires ،chois des rapports et instructions ،tom5،ministére de l'nstruction publique et de beaux arts.
23.Ernest. chantre: les mozabites ، esquisses ethographique et anthropométrique ، tome 20، bulltin de socété d'anthropoloqie de lyon ،1910
24.Sana.haddou ;Rahmouna Bellil: Al_Naciriya ***journal*** .

بوغفالة ودان ومنهجيته في الدراسات التاريخية العثمانية " كتاب الثورة الفرنسية من خلال الأسطوغرافيا المغاربية نموذجا"

توطئة.

1.التعريف بالمؤلف.

2.منهج المؤلف بوغفالة ودان.

3.التعريف بكتاب الثورة الفرنسية.

4.الأسطوغرافيا المغاربية المعتمدة.

4.حلقة الجزائر ضمن سلسلة الأسطوغرافيا المغاربية وأبحاث الثورة الفرنسية.

5.القيمة التاريخية للكتاب.

استنتاج.

المصادر والمراجع.

توطئة:

تندرج دراستنا التاريخية في سياق التعريف بأعلام الكتابة التاريخية في الجزائر، وابرازها للكتاب والباحثين والقراء وتقديمها لهم، تمهيدا لاكتشافها والوقوف عند خصوصيات منهجيتها في التدوين والتأليف، ونحن ارتأينا إبراز إحدى قامات الكتابة التاريخية في الجزائر المتخصصة في الفترة العثمانية ونعني بذلك الأستاذ الباحث بوغفالة ودان الذي وضع بصمته في مجال الكتابة والتحليل والنقد والمنهجية على خطى من سبقوه في هذا المضمار.

للأستاذ ودان الكثير من المقالات وبعض الكتب التي تعكس أسلوبه الرصين ومنهجه القويم في الدراسات العثمانية، ونحن أقدمنا على التعريف به لما له من إضافة وتأثير واضحين في مسار الطلبة وعلى الجامعات التي درّس بها، وهو مازال شمعة توقد ظلمات الطريق وتسهّل تخطي حواجز الكتابة التاريخية وفضلنا دراسة كتابه" الثورة الفرنسية في الأسطوغرافيا المغاربية " كنموذج لمساهماته التاريخية في العصر الحديث.

انطلقنا من إشكالية مدى مساهمة الأستاذ الباحث ودان بوغفالة في إثراء المكتبة الوطنية وقيمة منهجه التاريخي؟ وكيف نجد صورة تيار الثورة الفرنسية في مخيال النخب المغاربية.

1. التعريف بالمؤلف

يعد الأستاذ ودان بوغفالة أحد المتخصّصين المتميزين في تاريخ الجزائر الحديث خاصة الفترة العثمانية أستاذ التاريخ بجامعة ابن خلدون بمدينة تيارت من الأساتذة المقتدرين والمتميّزين في تخصص تاريخ الجزائر العثمانية، وقد أبان عن ذلك من خلال مؤلفاته التي اعتمد فيها على الوثائق الأرشيفية مثل كتاب "الوقف في الجزائر خلال العهد العثماني من خلال الوثائق الوقفية" في جزأين، وكتاب "التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لمدينتي المدية ومليانة في العهد العثماني من خلال سجلات المحاكم الشرعية". وقد زاوج الدكتور بوغفالة في تكوينه بين الجامعتين الجزائرية والفرنسية، كما استفاد كثيرا من مشرفه الأستاذ القدير الدكتور ناصر الدين سعيدوني[1].

عمل مدة 20 سنة بجامعة مصطفى اسطنبولي بمعسكر ليقرر الرحيل بعدها الى جامعة تيارت، ساهمت بيئته المحلية في تكوينه وتأهيله، وعمق دراساته التاريخية واللّغوية والمنهجية بفرنسا ليتحصل بها على شهادة الدكتوراه عام 2007، ويقول عن دور الانفتاح على ثقافة الغرب ودورها في تعزيز معارفه، وتطويرها: **"وصرت أكثر تحررا من الجمود الفكري والتحليل النمطي، والاجترار المعرفي والخطاب السّطحي، والتخييم في الماضي والعاطفة غير المُنضبطة.**

1 - ودان بوغفالة: الثورة الفرنسية في الأسطوغرافيا لمغاربية، د.ط، دار الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2004، ص10.

وعاينت على أرض الواقع مظاهر ثقافية وحضارية، عالمية إنسانية، جديرة بالاحترام والتقدير، تجمعنا بها قواسم مشتركة كثيرة"[1].

تنوعت مهامه البيداغوجية والعلمية والمناصب الإدارية فهو: [2]

- **عضو** مجلس كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة معسكر.
- **عضو** المجلس العلمي لكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة معسكر.
- **عضو** اللجنة العلمية لقسم العلوم الإنسانية، جامعة معسكر.
- **عضو** المجلس العلمي لجامعة معسكر.
- **عميد** كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بالنيابة بجامعة معسكر.
- **نائب عميد** كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية مكلف بالدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة.
- **مسؤول** ميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة معسكر.
- **عضو** استشاري لمجلس كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة معسكر.
- **عضو** المجلس التوجيهي للمكتبة الرئيسية للمطالعة العمومية لولاية معسكر.
- **عضو** اللجنة البيداغوجية الوطنية لميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية.
- ساهم كعضو في عدة مجلات وطنية، وله الكثير من المقالات في مجلات وطنية ودولية، ومشاركا في عدة ملتقيات ومؤتمرات وطنية ودولية، وله بعض الكتب مثل: "كتاب الثورة الفرنسية في الأسطوغرافيا المغاربية"، مؤلف كتاب بعنوان: "الوقف

---

1 - مجموعة باحثين: المؤرخ ناصر الدين سعيدوني، رائد الدراسات العثمانية في الجزائر، تنسيق وتقديم بوغفالة ودان د.ط، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، 2014، ص05.

2 سعيدوني ناصر أساسيات منهجية التاريخ، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2000، ص28.

في الجزائر خلال العهد العثماني"، مؤلف مع باحثين آخرين ومشرف على كتاب جماعي بعنوان: "الأمير عبد القادر عبقرية في الزمان والمكان"، مؤلف مع باحثين آخرين ومشرف على كتاب جماعي تكريما للمؤرخ ناصر الدين سعيدوني بعنوان": المؤرخ ناصر الدين سعيدوني: رائد الدراسات العثمانية في الجزائر".

2. منهج المؤلف بوغفالة ودان:

تعطي قراءة مؤلفات ومقالات بوغفالة ودان انطباعا بأنّها إضافة تاريخية للتاريخ الوطني، ومكسب كبير يقتضيه تراث الجزائر التاريخي، الذي مزال ينتظر أنامل الباحثين لنفض الغبار عنه بتجنيد ووسائل وآليات منهجية بعيدا عن: العاطفة والحماس والاندفاع ورد الفعل والاجترار.

هذه النمطية في التدوين التاريخي التي هي ديدن بعض من المؤرخين في بلادنا يرفضها بعض ممن اجتهدوا وسهروا في سبيل غربلة وتصفية ما علق بالتاريخ من عوالق وشوائب أضرّت بالماضي والحاضر، وأغلقت أبواب المستقبل أمام أيّ عمل منهجي ونقدي.

إنّ الدكتور بوغفالة أحد الأقلام التي سارت على نهج من سبقوهم في جدية الطرح، ووضوح الفكرة، ووظيفية النقد، وموضوعية النتائج، وكان للمؤلف الكثير من الإسهامات سواء مقالات أو مداخلات أو كتب أبرز من خلالها طبيعة منهجه، وصيغة أسلوبه، وعن ذلك يقول ناصر الدين سعيدون عند تقديمه لكتابه "الثورة الفرنسية في الأسطوغرافيا المغاربية":

"إنّ الأستاذ ودان بوغفالة باعتماده الأسلوب المقارن والمنهج التحليلي واستقراء النصوص التاريخية والانطباعات الأدبية في عرضه لتلك الأحداث

العاصفة والتطورات العميقة في حياة الأوروبيين وفّق إلى حد كبير في عرض وجهات نظر المؤرخين والرحالة والسفراء المغاربة"[1]، وهنا يثني رائد الدراسات العثمانية على المؤلف لأنه تجاوز النمط الكرونولوجي والسطحية في التناول.

والقارئ لمؤلفات الباحث التي ذكرناها آنفا يجد فيها تميّز في تناولها للأحداث والوقائع والتطورات، ونعتبر أنفسنا أحد طلبته بجامعة معسكر بين عام 2000 و2004م في مرحلة الليسانس، تعودنا على منهج نقدي، و إشكالي، يتلمس جوهر الحقيقة التاريخية، ويرفض عادة التناول السّطحي، حتى في طريقة طرحه للأسئلة والإشكاليات كانت تثير الحيرة والقلق في نفسية الطلبة وشيء جديد يصادفونه أول مرة في ميدان التاريخ.

هذه العقلية المنهجية الجديدة التي وظّفها الأستاذ أعطت ثمارها في ميدان البحث والدراسة وخلقت جو علمي وبحثي تنافسي يستطيع الطالب أن يرى نفسه ومستواه من خلالها، فكانت بصمة واضحة المعالم والتأثير، وهذا العمل لم يكن ليحصل لو لم يكن فيه تغيّر ملموس على مستوى الطّرح والتناول والدراسة والتكوين، فالمؤلف يسير على خطى أبو القاسم سعد الله وناصر الدين سعيدوني الذي يقف في طليعة المؤرخين المساهمين في وضع لبنات المدرسة التاريخية الجزائرية[2].

فمنهج الكتابة التاريخية ليس هو التراكم والسّرد والاجترار كما ساد في التراث القديم، والذي خالطته الكثير من القصص والأساطير وهي بحاجة اليوم

1 -حسن الضيقة: الدولة العثمانية الثقافة، والمجتمع، والسلطة، ط1، دار المنتخب العربي، بيروت، 1997، ص05.

2 - بوغفالة ودان : الثورة الفرنسية في الأسطوغرافيا المغاربية، المرجع السابق، ص10.

لحفريات تاريخية قائمة على منهج نقدي يحترم منهجيات الكتابة التاريخية **"إنّ التاريخ إن لم يكن من العلوم الناموسية ذات القوانين الحتمية فليس معنى هذا أنه ليس بعلم بل هو علم بهدفه وطرقه وهو كغيره من العلوم يسعى وراء الحقيقة وله منهجه الذي لم يفتأ يتطور ويتكامل بتراكم المعرفة التاريخية "**[1]، ويوضح حسن الضيقة أنّ الكتابات المهتمة بالتأريخ للاجتماع الإسلامي تكشف عن مفارقات تجعل الباحث في وضعية معرفية مضطربة تتقاذفه عدة مرجعيات متنافرة[2].

3. التعريف بكتاب الثورة الفرنسية في الأسطوغرافيا المغاربية، دراسة تاريخية تحليلية في نماذج من كتابات القرن 13ه/ 19م للدكتور بوغفالة ودان:

يوحي عنوان الكتاب بقيمة الثورة الفرنسية وشعارتها المؤثرة في مخيال ووجدان نخبة بلاد المغارب، خلال القرن التاسع عشر، والمعلوم أنّ هذه الثورة التي غيّرت وجه فرنسا وأوروبا والعالم، عرفت مراحل وتطورات، كان لها هزات وارتدادات أحدثت انقلاب جذري في الكثير من الدّول والمجتمعات، في فترة كانت أوروبا تشهد مزيدا من التطور في المجالات العملية والفكرية والثقافية والسياسية والاقتصادية والعسكرية.

فهذا المستوى المتقدّم من الحضارة والمدنية كان له صدى في العالم الإسلامي عموما وبلاد الغرب خصوصا، كانت النخب المغاربية في واجهة

1 - حنيفي هلالي: ثنائية توظيف المصادر التاريخية المحلية والأوروبية في كتابة تاريخ الجزائر أثناء العهد العثماني من خلال تجربتي دوفولكس ودوغرامون، مجلة الحوار المتوسطي، العدد1، ص13.

2 - نفسه، ص11.

الأحـداث بتفاعلهـا وانفعالهـا، والكتـاب يشـرح ويحلـل مـدى تـأثير أفكـار الثـورة الفرنسية في المخيال المغاربي في 255 صفحة.

قـام المؤلـف بتقسـيم الكتـاب إلـى أربعـة فصـول ومقدمـة وخاتمـة، ففـي الفصل الأول عالج المصادر المغاربية وأوروبا في القرنين 18 و19م وفي الفصل الثاني انتقل لشرح وتحليل أحداث وتطورات الثورة الفرنسية 1799/1789م في الأسطوغرافيا المغاربية، وفي الفصل ما قبل الأخير تحدّث عن المشروع البونـابرتي 1815/1797م فـي نظـر العلمـاء المغاربـة، وفـي الفصـل الأخيـر تنـاول موقـف النخبة المغاربية من الثورة الفرنسية وكيفية تعاطيها مع إفرازاتها.

هذا الكتاب طبع في مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع ولايـة سـيدي بلعباس عام 2004م، وجاء لون الغلاف أخضر يتوسّطه العلـم الفرنسـي أمّا حجم الكتاب فهو متوسط، فـي واجهـة الكتـاب الأولـى، المعلومـات التعريفيـة للكتـاب باللغة العربية وفي الجهة الأخرى مترجمة بالغة الفرنسية.

4. الأسطوغرافيا المغاربية المعتمدة من طرف المؤلف:

اعتمد الاستاذ بوغفالة مصادر تاريخية متنوعة وثرية في معالجة موضـوع دراسـاته القيّمـة موظفـا تقنيـات وأسـاليب تكاملـت فيمـا بينهـا كالمقارنـة والتحليـل والاستقراء عارضا وجهـات نظـر مختلفـة لمـن عايشـوا الأحـداث أو سـمعوا عنهـا أو كانوا قريبين منها: مؤرخين وسفراء ورحالـة مغاربـة وينـوّه سـعيدوني ناصـر بكتـاب الثـورة الفرنسـية: **" ينـدرج ضـمن المسـعى الثقـافي لمعرفـة الأخـر، لقـد تعـرّض لانشغالات المغاربة وتلمّس أحساسات الضمير المغاربي في تعامله وتفاعله مع**

الأحـدث التـي هـزّت أوربـا"[1]، ورغـم تبـاين واخـتلاف الآراء والمواقـف أحيانـا وتقاطعهـا واشـتراكها فـي بعـض النقـاط والعناصـر، إلّا أنّـه اسـتطاع بمهـارة تنـاول وترتيب المصادر التاريخية كرونولوجيا، وأعطى صورة عن كل واحدة منهـا ووضعها في إطارها الزماني والحدثي والموضوعي، ودراستها وتحليلهـا يجعـل منهـا لبنـة أو أرضية خصبة لأيّ دراسات تاريخية مستقبلية.

وسنسـرد أهـمّ الأسـطوغرافيات المعتمـدة فـي هـذا الكتـاب انطلاقـا مـن البيليوغرافيـا، والتـي قسّـمها إلـى أوليـة وثانويـة، فقـد ضـمّن فـي مراجعـه الأوليـة مجموعة مصادر تاريخيـة والتـي تخطّت في كتابتهـا حـدود الزمـان والمكـان، فنجـد منها ما هو مشرقي وما هو مغاربي مثل:

- كتاب إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان لأحمد بن أبـي الضـياف ابن حمادوش الجزائري، رحلة ابن حمادوش.

- الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، لإبن سحنون الراشيدي.

- إتحاف أهل أعلام الناس بجمـال أخبـار حاضـرة مكنـاس لإبـن زيـدان مـولاي عبـد الرحمان.

- السعي المحمود في نظام الجنود لإبن العنابي محمد

- فريدة منسية فـي حـال دخـول الترك بـلاد قسـنطينة واسـتيلائهم علـى أوطانهـا أو تاريخ قسنطينة لمحمد ابن العنتري.

- الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا لأكنسوس المراكشي.

---

1 - مسعود عوادي: حمدان خوجة تأثره بالفكر الأوربي التنويري ونظرته للاحتلال الفرنسي بين إنسانية أفكار الثورة الفرنسية وجرائم الاستعمار، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 2، المجلد 14، 2013، ص296.

- الخبر عن أول دولة من دول الأشراف العلويين لأبي القاسم الزياني.
- تاريخ الضعيف للضعيف الرباطي.
- صفوة الإعتبار بمستودع الأمصار والأقطار لمحمد بيرم الخامس.
- أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك.
- اليوميات الليبية لحسن الفقيه.
- الرحلة الصحراوية عبر أراضي طرابلس وبلاد التوارق لمحمد بن عثمان الحشائشي
- حملة بونابرت إلى الشرق مخطوطة نقولا الترك للترك نقولا.
- لبنان في عهد الأمراء الشهابيين، ج2 وج3، من كتاب الغرر الحسان في أخبار أبناء الزمان للأمير حيدر الشهابي.

نحن ذكرنا البعض من نماذج هذه المصادر المعتمدة من طرف بوغفالة ودان على سبيل المثال والاستئناس، وحاولنا أن نبيّن جنسية الأعلام المغاربية التي شكّلت نخبة عصرها ولو أنّ الباحث بوغفالة يرفض إدراجها ضمن مفهوم الانتلجنسيا من: تونس، الجزائر، ليبيا، المغرب الأقصى أو المشرقية: لبنان، مصر ولا يسعنا المقام لذكرها كلها فالمصادر مرتّبة ومدوّنة في الكتاب.

يعالج المؤلف الفترة تخص القرن 13ه/19م إلّا أنّه يشير ويتناول فترة القرن 18م وكانت الجزائر إلى غاية ثلاثينات القرن 19 جزء لا يجتزئ من الخلافة العثمانية، ولو أنها كانت مستقلة رسميا عن إسطنبول منذ 1676م وأبقت على علاقتها الروحية والسياسية معها في إطار من الاستقلالية والتحالف والاحترام، وفي المقابل الفرنسيين في كتاباتهم تعمدّوا الإقصاء والتهميش والتزييف، وتوظيف الأسلوب المسموم والمغرض ويقول في ذلك هلالي حنفي: **" وقد أدّت**

هذه النظرة المغرضة بالكتاب الفرنسيين إلى تجاهل الوجود التاريخي للشعب الجزائري " [1].

هذا عن المصادرّ، أما المراجع الثانوية بنوعيها العربية الأجنبية فهي كثيرة ومتنوعة وضّفها الباحث حسب تسلسل وترتيب الأحداث معززا بها موضوعه قاربت 100 مرجع ثانوي إضافة لمجموعة مقالات من مجلات وملتقيات ومؤتمرات وطنية ودولية.

5. حلقة الجزائر ضمن سلسلة الأسطوغرافيا المغاربية وأحداث الثورة الفرنسية:

عالج الباحث بوغفالة ودان موضوعه بصفة عامة دون تجزئة للأحداث والتطورات، فهو أثار إشكاليته ضمن سياق عام المتمثل في الثورة الفرنسية وانعكاساتها في وجدان ومخيال الجانب المغاربي، منذ القرن 19م وكتابته دعوة صريحة للاجتهاد لتطوير عمله والبناء عليه لدراسات جديدة.

فهو مهّد السبيل للباحثين في كل بلاد المغارب لتناول قضايا منهجية تخصّ بلدانهم، ونحن في الجزائر نحاول تعزيز البحث في هذا المجال على وقع تطور معرفي رهيب وضغط عولمي بكل تأثيراته، يستعمر الجغرافيا والتاريخ والهوية والدين والثقافة، لذلك يقول صاحب الكتاب **" الأمر الذي يسمح لنا اليوم ونحن نواجه تبعات هذا التحدّي أن نحدد نظرتنا وأن نعيد صياغة مفهومنا للغرب الأوربي"** [2].

1 -بوغفالة ودان: المرجع السابق نص15.

2 - بوغفالة ودان: المرجع السابق، ص18

يتضح حضور الجزائر في الأسطوغرافيا المغاربية من خلال نخبتها كابن سحنون الراشيدي (ت1769م) الذي تناول أحداث الثورة الفرنسية وكان معاصرها لها، وهناك من الجزائريين تنقلوا إلى باريس وعلى رأسهم حمدان بن عثمان خوجة عام 1820م وهو أحد روّاد الإصلاح السياسي والاجتماعي في الجزائر وبلاد المغرب والعالم الإسلامي خلال القرن 19 عرف بدعوته للانفتاح على روح العصر ومسايرة الحضارة [1].

ذكر المؤلف شخصيات جزائرية أخرى مولود بن عراش وزير خارجية الأمير عبد القادر الجزائري ومصطفى بن اسماعيل الذي كان يتولى منصب أغا في دولة الأمير، لكنه مال لصالح الفرنسيين، وصالح بن محمد العنتري وبعض من علماء قسنطينة وأعيانها عام 1844م[2]. ويشير إلى أنّ أهل المغرب العربي تعرّفوا على شخصية نابليون بونابرت بعد حملته على مصر[3]، والجزائر جزء منها وهي أقرب لمركز التأثير في العهد الحديث وانعكست الاحداث والتطورات في أوروبا عموما وفرنسا خصوصا عليها، من خلال الحملة الفرنسية على الجزائر عام 1830[4]، وهي نتيجة حتمية إن صحّ القول، وكانت حركة العلماء طبيعية عبر الفضاء المغاربي الممتد بدون حواجز طبيعية قاصدين الحواضر الكبرى كتلمسان وقسنطينة وفاس وتطوان، الزيتونة، برقة.

[1] – Gilbert meynier ; L'Algérie et les Algériens sous le système colonial. Approche historico historiographique *Insaniyat* n°s 65-66، juillet - décembre 2014، p

2 -بوغفالة ودان: المرجع السابق، ص20

3 - نفسه ص20.

4 - نفسه ص40

أثّرت تداعيات الحروب النابليونية خارج فرنسا وخاصة احتلال مصر على علاقات فرنسا بالجزائر التي كانت تربطها علاقة صداقة وأخوّة بمصر، وهذا التأثير السياسي للحدث العسكري استمر إلى غاية احتلال الجزائر سنة 1830م، كما عاشت الجزائر ظروف سياسية مكهربة خلال القرن 18م عددها بوغفالة ودان تمثّلت في وفاة الداي محمد بن عثمان باشا عام 1791م، والمواجهات الجزائرية الإسبانية في الغرب الجزائري وتوجت بفتح وهران 1792م [1].

يستشهد المؤلف بأبي راس الناصري الذي تحدّث عن الاحتلال الإسباني لوهران، ويصف معلوماته بالاستطراد والاضطراب[2]، وفي العلاقات مع أوروبا يسرد لنا موقف الأمير محمد بن الأمير عبد القادر الجزائري منها، ويلخّص لنا موقفه القائم على الفخر وتمجيد التفوّق الجزائري الإسلامي أمام الصليبيين [3]، وفي مسألة حضور التاريخ الفرنسي في الكتابات المحلية فقد أصبح يشكل جزءا هاما منها خاصة منذ 1798م و1830 م، وذكر بعض ممن تناولوا ذلك كابن عودة المزاري، وحمدان خوجة [4].

6. القيمة التاريخية للكتاب

يترك قراءة الكتاب بتمعن في النفس أثر طيب عن صاحب الكتاب، حيث تشعر بإصرار الأستاذ بوغفالة من جديد على فلسفة القضايا التاريخية وتقديمها من وجهة نظر جديدة يجعلك تقف معه مرارا وتكرار عند كل كلمة وسطر لتفهم الدلالات

1 - بوغفالة ودان: ، المرجع السابق ص443.

2 - قاسم يزبك: التاريخ ومنهج البحث التاريخي، ط1، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1990، ص46.

3 - الحسن السائح: الحضارة الإسلامية في المغرب ط22، دار الثقافة للنشر والتوزيع، المغرب، 1986، ص20.

4 -بوغفالة ودان: المرجع السابق ص 163.

والمعاني، وفك شيفرة المفاهيم والمصطلحات الموظّفة وعلى رأسها مفهوم الثورة الفرنسية التي فلسفها من جديد بطريقة نقدية جديدة، ويقول في ذلك قاسم يزبك **"ويلزم للمؤرخ أن تتوفر فيه ملكة النقد فلا يجوز أن يقبل كل كلام أو يصدق كل وثيقة أو مصدر بغير الدرس والفحص والاستقراء... ومن الضروري أن يكون المؤرخ ذا عقل واع ومرتب ومنظّم"**[1]، وينطلق من قاعدة أساسية وهي مفهوم الحضارة لديه، الذي يشمل كل ما هو مادي وروحي بعيدا عن التعصّب والذاتية والتقوقع في دائرة التفكير الضيق، فالحضارة هي مثل عليا وتجارب متنوعة وخلق و إبداع ومعاناة لتصحيح مسيرة الإنسان [2]

هل يجعلها على رأس كل الثورات العالمية؟ وما هو المميّز فيها؟ هكذا تتبادر الى ذهنك وأنت تقرأ له وبعد الخوض في تفاصيلها يجيب صاحب الكتاب قائلا: **" أي أن الثورة الفرنسية كأيّ ثورة كانت تخص فرنسا والشعوب المسيحية في أوروبا ولا علاقة للمسلمين بها بمغرب القرن التاسع عشر ميلادي فالأوطان متباعدة يفصل بينها البحر والأديان مختلفة ويفصل بينها التاريخ"** [3] ونجده موضوعيا في مسألة التأثير العربي والإسلامي على حركة نهضة وانبعاث أوروبا بعد قرون من الإقطاع والجهل والتخلّف، فهو لم يغتر ولم ينساق وراء مظاهر الحضارة الأوربية وقبلها الثورة الفرنسية، ولم ينسى فضل الإسلام على أوروبا **"فالحضارات الإنسانية الأولى وعلوم العرب والمسلمين في صقيلية والأندلس**

---

1 - بوغفالة ودان: المرجع السابق، ص38.

2 -مجموعة باحثين: الثورة الفرنسية في الأسطوغرافيا المغاربية، المرع السابق، ص163

3 - روبير مانتيران: تاريخ الدولة العثمانية، ج2 ترجمة بشير السباعي، دار الفكر للدراسات وللنشر والتوزيع، د.ت، ص11.

هي أساس النهضة الأوروبية الحديثة "[1] لكن حركة النهضة الأوربية منذ القرن 13م جعلت المسلمين في موقف المنتقص الغيور المتحسّر.

فهو يجيب عن السؤال ويعتبرها كإحدى الثورات التي أحدثت شرخا بين أوروبا والعالم الإسلامي، وحتى بلاد المغرب التي لم تكن بمنأى عن التيار الجارف للثورة الفرنسية بسبب عدة عوامل وجدت نفسها مضطرّة إمّا للمواجهة أو الانخراط في جو الأحداث، بعيدا عن العزلة والتقوقع إضافة إلى أنّ سرعة التأثير وجاذبية المفاهيم جعل خطاب النخب الإصلاحية في بلاد المغارب يقع في بؤرة الاضطراب وفي نظرته للحياة وللأخر ولرؤيته للمستقبل[2].

فموقف النُخب المغاربية من الثورة الفرنسية شبّ من البداية على الخلاف والتباين والصّراع والجدل، ولم تخرج المواقف من دائرتي: القبول والتجاوب مع أفكار الثورة الفرنسية وكل ما هو أوروبي وغربي، والرفض والانفعال ضدّ أفكار الثورة الفرنسية وكل ما هو أوروبي غربي.

لم يضع صاحب كتاب الثورة الفرنسية وتداعياتها في حسبانه دور ومكانة الدولة العثمانية كقوة إسلامية مؤثرّة كانت في واجهة الصّراع مع الغرب المسيحي لم تسمح لها مخالب الأوربيين بأخذ نفس من أجل التقدم وتحقيق الاستقرار بحكم القرب الجغرافي بين حدود الأتراك وأوروبا، ولذلك يمكن تبرير إخفاق الإصلاحات العثمانية المقتبسة من الغرب بسبب ذلك،[3] وملاحظاتنا عليه أنّه لم ينتبه لمركز ثقل

1-Gabor A goston ; Bruce Masters، encycmopidia of the ottoman empire ،an imprint of infobase publishnge ، new york.2008 ;p30

2- عبد الحميد الثاني: مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني، ترجمة محمد حرب، ط3، دار القلم، دمشق، 1991، ص27.

3 L. colas: l'empire ottoman jusqua la révolutionde 1909 ;filix alcan éditeur ;paris ;p7

العالم الإسلامي الذي حمى ودافع عن العالم الإسلامي طيلة قرون 1924/1299م

وقد برز العثمانيون كأبطال في حروبهم المعادية للمسيحيين[1] وهي حقبة زمنية طويلة لها مايبررها، كماأنّ سقوط الدولة العثمانية له مبرراته من وجهة نظر موضوعية ومنهجية، ونبرز هنا ما قاله الخليفة عبدالحميد الثاني في مذكراته، والده السلطان عبدالمجيد الثاني أوّل حاكم عثماني يضفي على حركة الإصلاحات صفة الرسمية، وكان يرى أنّ للشرق حضارته الإسلامية المتكاملة المتفوقة على حضارة الغرب إنّما كان يريد من العلوم الحديثة، وبالتدرج، [2] وهي تلخص لنا اللغط الحاصل حول انهيار القوة العثمانية خصوصا وأن العامل الجغرافي لعب دورا جوهريا في سقوطها[3].

كتب المؤلف عن مجموعة أزواج من المفاهيم:

- التجديد والتقليد.
- المسلم والكافر.
- التقارب والتناقض.
- الشرق والغرب.
- الأنا والأخر.
- الإسلام والكفر.

1- أحمد آق كوندز، سعيد أوزتوك: الدولة العثمانية المجهولة، مكتبة عمرو توران، اسطنبول، 2008، ص491.

2 - قيس جواد العزاوي: الدولة العثمانية، قراءة جديدة لعوامل الانحطاط، ط، 1الدار العربية للعلوم، 2003، ص49.

3 -محمد البشير الابراهيمي: من أنا، تحقيق رابح بن خويا، منشورات الوطن، 2018ص13.

- التخلف والحضارة.
- الانغلاق والانفتاح.

هذه المفاهيم أسهب بوغفالة ودان في شرحها وتحليلها برؤية نقدية، تجديدية، وهناك من الأسطوغرافيات الإسلامية التي تناولت قضية العلاقات بين الاسلام والمسحية، أو بين الدولة العثمانية وأوروبا، من وجهات مختلفة، كما ذكرها الباحث في كتاب الثورة الفرنسية، وعموما لم تستفد الدولة العثمانية من حركة التجديد، إضافة الى انحسار نمط الحياة الإسلامية أمام النمط الأوروبي.[1]

خاض الباحث كثيرا في تفاصيل الثورة الفرنسية، وافرازاتها، ومن جهة حلل الكثير من المواقف والرؤى عند أقلام المغاربة، والتي تراوحت بين الرفض والقبول والتحفظ، وبديهي جدا أن يتأثر مركز ثقل العالم الإسلامي بكل هذه التحولات السياسية الاقتصادية والثقافية والعسكرية الجارية في أوروبا وخارجها وعلى رأسها مسالة التحديث ولم يكن بالأمر السهل، لأن المعارضة أيضا كانت قوية وذهب ضحيتها بعض السلاطين إمّا قتلا أو عزلا[2]، تمنينا أن يدرج فصلا أو بعض المباحث يستقرئ لنا تطورات العلاقات بين الدولة العثمانية وأوروبا.

هذا المركز يمثل الخلافة، والشرعية، والإسلام ومصدر القرار السياسي، له علاقات روحية جوهرية مع بقية أقطار العالم الإسلامي، والفترة التي عالجها أيضا الباحث ودان بوغفالة وهي القرنين 18 و19، كانت فيها الدولة العثمانية تمرّ

---

1 -محمد البشير الابراهيمي: المرجع السابق، ص14.

2- يحياوي زكية: شخصية الشيخ الإبراهيمي وأثرها على الفكر التربوي، مجلة روافد المجلد 6، العدد خاص، 2022، ص468.

بفترات عصيبة، جعلها في صورة الرجل المريض الذي يئنّ تحت الحصار والضغوطات والهزائم والتهديدات، وضياع أملاكها فيما بعد.

استنتاج:

توصلنا في ختام الدراسة إلى ما يلي:

- أن الباحث بوغفالة ودان يمثّل لحظة كتابة تاريخية واعية بالماضي والحاضر والمستقبل.
- تعدد كتاباته ومؤلفاته في مجال التاريخ العثماني تعطي نفس جديد ودفعة قوية للباحثين الجدد لإعادة قراءة متأنية للتراث المحلي، للمساهمة في بعث تاريخ الأمة المشوّه والمحرف والمصادر منذ 1518م.
- يدخل صاحب كتاب الثورة الفرنسية في الأسطوغرافيا المغاربية في طليعة الباحثين الذين أعطوا قيمة مضافة في ميدان البحث التاريخي.
- يعتبر الانفتاح على تجارب الأخر في مجال التدوين التاريخي أمر لا مناص منه، للاستفادة منها، خاصة مع ظهور مدارس تاريخية ومنهجية جديدة، تتطلب إعادة قراءة وتحليل، ونقد.
- نستفيد من كتابات الباحث أنه ليس كل ما هو أجنبي غريب ومرفوض ومنافي للقيّم والمبادئ الإسلامية، على العكس يقلب معادلة العلاقة بين الأنا المتعصّبة والآخر المنفتح ويوضّح مدى أهمية التواصل معه للحاق بركب الحضارة.
- هناك تراكم كمي في الأسطوغرافيات المغاربية، تقتضي تحليل كيفي، بأدوات منهجية وبنظرة موضوعية وطرح بناء، يخدم ميدان البحث التاريخي.

- تناول المؤلف اشكاليات عديدة مازالت مطروحة اليوم على قطاع واسع من العلماء والباحثين، ولكن تحتاج منا الجرأة والشجاعة والإقدام لخوض معركة الكتابة الناقدة بعيدا عن القدسية والتزمت والتملق والموالاة وخدمة المصالح والأغراض الشخصية والسياسية والإيديولوجية.
- ان كتاب الثورة الفرنسية في الاسطوغرافيا المغاربية، قفزة نوعية من جوانب عدة منهجية وموضوعية، شكلا ومضمونا، دراسة ونقدا.

المصادر والمراجع:

1.أحمد آق كوندز، سعيد أوزتوك: **الدولة العثمانية المجهولة**، مكتبة عمرو توران، اسطنبول، 2008.

2.بوغفالة ودان: **الثورة الفرنسية في الأسطوغرافيا لمغاربية**، د.ط، دار الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2004.

3.هلالي حنيفي: ثنائية توظيف المصادر التاريخية المحلية والأوروبية في كتابة تاريخ الجزائر أثناء العهد العثماني من خلال تجربتي دوفولكس ودوغرامون، ***مجلة*** الحوار المتوسطي، العدد1.

4.**ناصر** سعيدوني: **أساسيات منهجية التاريخ**، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2000.

5.مجموعة باحثين: المؤرخ ناصر الدين سعيدوني، **رائد الدراسات العثمانية في الجزائر**، تنسيق وتقديم بوغفالة ودان د.ط، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، 2014.

6.عبد الحميد الثاني: **مذكرات السلطان عبدالحميد الثاني**، ترجمة محمد حرب، ط3، دار القلم، دمشق، 1991.

7.العزاوي قيس جواد: **الدولة العثمانية قراءة جديدة لعوامل الإنحطاط**، ط، 1الدار العربية للعلوم، 2003

8.عوادي مسعود: حمدان خوجة تأثره بالفكر الأوربي التنويري ونظرته للاحتلال لفرنسي بين إنسانية أفكار الثورة الفرنسية وجرائم الاستعمار، ***مجلة*** الدراسات التاريخية، العدد 2، المجلد 14، 2013

9.الضيقة حسن: **الدولة العثمانية الثقافة، والمجتمع، والسلطة**، ط1، دار المنتخب العربي، بيروت، 1997.

10.قاسم يزبك: **التاريخ ومنهج البحث التاريخي**، ط1، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1990.

11.السائح الحسن: الحضارة الإسلامية في المغرب ط22، دار الثقافة للنشر والتوزيع، المغرب، 1986.

12.روبير مانتيران: **تاريخ الدولة العثمانية**، ج2 ترجمة بشير السباعي، دار الفكر للدراسات وللنشر والتوزيع، د.ت.

13.L. colas: l’empire ottoman jusqua la révolutionde 1909 ;filix alcan éditeur ;paris .

14.Gabor A goston ; Bruce Masters، **encycmopidia of the ottoman empire** ،an imprint of infobase publishnge ، new york،2008.

15.Gilbert meynier ; **L’Algérie et les Algériens sous le système colonial.** Approche historico historiographique ***Insaniyat*** n°s 65-66، juillet - décembre 2014.

16.بن سالم صالح: ما لا تعرفون عن الدكتور ودان بوغفالة، على الموقع الالكتورني

https: //elbassair.dz/14470/#: ~: text

https: //int-historians.com/article/6373

الشيخ البشير الإبراهيمي نموذج عُلمائي مُقاوم للطرقية.

توطئة.

1. نبذة عن البشير الابراهيمي.

2. لمحة عن الطرقية.

3.رجال الصوفية في حضن جمعية العلماء المسلمين.

4.التياران العُلمائي والطُرقي في مفترق الطرق.

5.قراءة وتحليل للخطاب الديني الابراهيمي ضد الطرقية.

استنتاج.

المصادر والمراجع.

توطئة

احتفت الجزائر عبر تاريخها بشخصيات وأعلام تاريخية، وشكلت نموذج للبطولة والتضحية في سبيل الوطن، دفاعا عن الأرض والعرض، وهانت أمامهم كل مغريات الدنيا، وفضّلت نهج التضحية والاستشهاد على مذبح الحرية، ومن هؤلاء الذين لم يجد إليهم شيطان الاستعمار سبيلا لقهره أو منعه عن الذود عن حمى الإسلام والعروبة، والشرف نجد الشيخ محمد البشير الإبراهيمي.

كان هذا الرجل قوي الشكيمة، فارس بلا سيف، سلاحه القلم وصهوته الكتابة واللّسان، واجه الآلة الاستدمارية، وعملائها من الداخل المتمثلين في المنتخبين في الهيئات والمجالس المحلية والوطنية، الطرقيين، المستوطنين وغيرهم، ارتدى عباءة الإصلاح، وخاض معركة شرسة ضدّ كل أبواق الفساد الديني والاجتماعي والسياسي، وعرّض حياته للسّجن والنفي في سبيل ذلك.

تمثلت أخطر وأشرس معركة دخلها الشيخ الإبراهيمي في جرأته على دعاة البدع والخرافات من الطرقيين، الذين غرسوا أفكارهم القبورية والظلامية في عقول الجزائريين بمعاونة الإدارة الفرنسية التي وظّفت ترسانة من الضباط والخبراء في مجال الدعاية والجوسسة والاستعلام، خدمة لمشروعها الاحتلالي، فوجدت في الطرق الصوفية أرضية خصبة لخدمة مصالحها، إلّا أنّ ثلّة من المصلحين الجزائريين وعلى رأسهم الإبراهيمي وقفوا بالمرصاد من خلال جهاد الكلمة والقلم.

1. نبذة عن البشير الابراهيمي:

هو رجل الإصلاح ورائد من روّاده في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية، استبشرت الجزائر بظهوره هو ورفاقه من دعاة التربية والتعليم والإصلاح في جمعية العلماء المسلمين، يقول في سيرته عن نفسه **"أنا محمد البشير السعدي بن عمر بن عبد اللّه بن عمر الابراهيمي"**[1] وهو من نسب شريف من مواليد 1306ه/1889م ويتحدث عن نشأته العلمية**" نشأت على ما نشأ عليه أهل البيوتات العلمية الريفية من طرائق الحياة وهي تقوم دائما على البساطة والطهارة في السّلوك والمتانة في الأخلاق والاعتدال والصحة البدنية"**[2]

يصفه العربي التبسي أنّه فلتة من فلتات الزمان[3]، أحد مؤسسي جمعية العلماء المسلمين، حيث وبعد عودته من المشرق بعد الحرب العالمية الأولى استمر في رسالته العلمية والإصلاحية إلى غاية 1931م ويرجع له الفضل هو وابن باديس* في تأسيس جمعية العلماء المسلمين وهو من طليعة من جاهدوا بالكلمة والقلم ومن مؤسسي 400 مدرسة تعليمية، ومجاهدي الإصلاح الديني ومحاربي الدجل والابتداع ومن أصحاب الدعوة والإصلاح والتوعية[4]ويلخّص عادل

* عبد الحميد ابن باديس: رائد لإصلاح في الجزائر منذ1931، رئيس جمعية العماء المسلمين، ولد بقسنطينة من عائلة أمازيغية معربة، خريج جامعة الزيتونة بتونس، عمل على بثّ رسالة التربية والتعليم والارشاد في المجتمع الجزائري إلى غاية وفاته 1940..ينظر: jean Balazuk: gurrre d'algerie :. une chronologie، mansuelle، mai1945_décembre1962، 'l'harmatan.، p52.

2 -محمد البشير الإبراهيمي: المرجع السابق، ص84

3 - عادل نويهض: البشير الابراهيمي عظيم الجزائر، دار الأبحاث، الجزائر، ص57.

4 - مقال منشور:
https: //www.dknews-dz.com/article/154777-cheikh-bachir-el-ibrahimi-a-affronte-le-presume-projet-intellectuel-colonial-menacant-lidentite-nationale.html

نويهض آلية تنفيذ المشروع الإصلاحي لجمعية العلماء المسلمين في نقطتين: أولا عن طريق الخطاب المباشر للشعب، في المؤسسات المسجدية والتعليمية وعبر الصحافة والنوادي، وثانيا عبر إنشاء العشرات من المدارس عبر الوطن[1]، كما واجه الشيخ محمد بشير الإبراهيمي المشروع الفكري الاستعماري المزعوم الذي يهدف إلى إبادة الهوية الوطنية و إبعادها عن ثقافتها وتاريخها[2]، واعتمد التربية والأخلاق والعلم منهج لتكوين الفرد الجزائري" **و إنّما خاب أكثر ما خاب من نقص في الأخلاق فمنها كانت الخيبة ومنها كان الإخفاق"[3].**

ترأّس بعد وفاة الشيخ عبد الحميد بن باديس جمعية العلماء المسلمين 1940م وهو في منفاه في أفلو وفي مطلع الأربعينات وتبلور الوعي الوطني، أنشأ عددا كبيرا من المدارس العربية أبرزها معهد عبد الحميد ابن باديس بقسنطينة، كما ترأس جريدة البصائر، وكانت له جولات عديدة في بلدان المشرق بداية من عام 1952م[4] ناضل بفكره وقلمه، في المساجد والجوامع والملتقيات والصحافة. وبعد اندلاع الثورة الجزائرية 1954م، أنتدب من قبل قيادة الثورة لتمثيلها لدى الدول العربية والإسلامية وبعد الاستقلال 1962 عاد لأرض الوطن توفي عام 1965م.

---

1 -شكري فيصل: قضايا الفكر في أثار الإبراهيمي: مجلة الثقافة، عدد87، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، ص176.

2- عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر، 2، مؤسسة نويهض، بيروت، 1980، ص12.

3 -الطيب جاب الله: دور الطرق الصوفية والزوايا في المجتمع الجزائري، مجلة معارف، المجلد 8، العدد15، 2013، ص10.

4 -É RIC MEYER: La guerre d'algérie .revus geo histoir.fivrier_mars.,n 61

ترك بصمة في تاريخ الإصلاح، تجنّد لمحاربة الاستعمار الفرنسي، ومقاومة سياساته التي ركّزت على التنصير والفرنسة والادماج، ومحاولات القضاء على الشخصية الوطنية للأمة الجزائرية العربية الاسلامية.

2. لمحة عن الطُرقية:

عرف الإسلام بعد القرن الأول هجري ظهور مذاهب دينية شتى خاصة بعد توسع الفتوحات الإسلامية شرقا وغربا ومع دخول شعوب كثيرة للدين الجديد، اختلطت الثقافة الإسلامية بتلك الثقافات الجديدة، مكونة بنيات حضارية جديدة من حيث اللّغات والأجناس، والديانات والعقائد والعادات والتقاليد.

فهناك حضارات إنسانية قديمة استطاعت أن تذوب في الدين الاسلامي الجديد كالفارسية واليونانية، وقد تأثّر الإسلام بالأفكار والفلسفات والنظريات التي احتك بها مما نتج عنه ظهور مذاهب ومظاهر دينية جديدة على رأسها التصوف.

خاض المفكرون والعلماء والباحثون في موضوع التصوّف وتشعّبت فيه المفاهيم بسبب غموم مصدر نشأته وانتشار رموزه و إشاراته في الكتب والمؤلفات التي دونها شيوخ ومريدو الطرق الصوفية. أختلف حتى في تعريفه ومفهومه ودلالة مصطلحات علمه، فظهر علم الحقيقة وعلم الشريعة أو علم الظاهر والباطن فأهل الحقيقة والباطن هم المتصوفة وأهل الشريعة والظاهر الفقهاء، إلّا أنّ العلاقات بين التيارين كانت في أغلبها مضطربة ومتوترة.

يعد التصوف طريق الوصول للحقيقة، يسلكه المريدون بتوجيه وعناية وقيادة الشيخ، متزودين بباطن هذا العلم وفي هذا الطريق أحوال ومقامات تعترض المريد، وينقسم الطريق إلى فرعين: أهل استقامة وأهل انحراف وقد اختلط الزهد والتصوف النابع من القرآن والسنة بأهل البدع والخرافات.

أثّر دخول الإسلام إلى بلاد المغرب، وما تبعه من انتشار للتيارات الدينية والعقائدية والفكرية، في المجتمع المحلّي، منذ القرن 11و12م ومع القرن 15م تحوّل التصوف إلى ظاهرة عامة انخرط فيها كل فئت المجتمع، نتج عنه شيوع الدجل والانحراف والسّحر والشعوذة وهو الذي جلب للزوايا الصالحة الأذى والتجني[1]وجد أهل العقيدة الصافية من التصوف أنفسهم أمام امتحان صعب فراحوا ضحية سهام النقد من قرنائهم من الفقهاء والعلماء.

تشكل الجزائر نموذج بارز لانتشار التصوف فيها، إلّا أنّ هذا البلد تعرّض لغزوات متكررة أثّرت على البنى الثقافية والاجتماعية خاصة منذ القرن 19م استغل الاستعمار الفرنسي احتلاله الذي استخدم فيه وسائل خطيرة [2] لتدجين الطرق الصوفية والاستثمار فيها كأليات لتثبيت أركانه في البلاد طولا وعرضا.

صاحب توغّل الاحتلال الفرنسي في الداخل والصحراء مرافقة جيش من المترجمين والعلماء والمفكرين لدراسة المجتمع الجزائري، فوجدوا في العقيدة والدين مناخ مناسب لزرع أفكار الدروشة، والقدر وغيرها مما يمكنهم من أحكام سيطرتهم على البلاد والعباد.

ولن نكون موضوعيين إذا أقصينا دور الطرق الصوفية في حمل لواء المقاومة الوطنية منذ ثلاثينات القرن العشرين ونذكر منها: مقاومة الأمير عبد القادر الجزائري الذي ينتمي للطريقة القادرية والشيخ الحداد الذي يتبع الطريقة

1- شهرة شغري، الخطاب الدعوي عند جمعية العلماء المسلمين، الجزائريين، دراسة مقارنة بين عبد الحميد بن باديس والبشير الابراهيمي، مذكرة: مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الدعوة الاسلامية، قسم علوم الدين، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2009/2008، ص62

2-عائشة قرة: دور صحافة العلماء المسلمين الجزائريين في تعزيز مكانة المرأة في المجتمع الجزائري، قراءة في صحف جمعية العلماء المسلمين، مجلة أفاق للبحوث والدارسات، العدد2، المجلد 2، 2018، ص485.

الرحمانية والشيخ المقراني وبوعمامة الذي ينتمي للطريقة الشيخية وغيرهم، فأغلب زعماء المقاومات كانوا رؤساء طرق صوفية أو تابعين لها، ولكن فيما بعد تم تدجين الكثير من الطرق الصوفية و إخراجها عن منهجها وتوظيفها لنشر الفساد الديني والأخلاقي ويقول أحد القادة الفرنسيين: **" إن كسب طريقة صوفية أنفع لنا من تجهيز جيش كامل وقد يكونون ملايين ولو اعتمدنا على الأموال والجيوش لما أفادتنا ما تفيده تلك الكلمة الواحدة من الشيخ "[1].**

3. رجال الصوفية في حضن جمعية العلماء المسلمين

ساهم رجال الطرق الصوفية جنبا إلى جنب مع رجال الإصلاح في تأسيس جمعية العلماء المسلمين التي كانت في أهدافها جمعية دينية إصلاحية، تسعى للتربية ونشر الأخلاق الفاضلة وتوعية المجتمع ومحاربة البدع والخرافات والشعوذة وككل الأفكار الهادمة لأُسس ومقومات الأمة الاسلامية.

انخرط أهل التصوف في مسعى جمعة العلماء منذ البداية، رغم الريب والشك والاحتراز الذي كان بينهما فكانت بمثابة حائط سميك حال دون اندماجهما وذوبانهما في فكرة واحدة وهدف واحد، بحكم الاختلاف العقائدي والسلوكي بينهما، فالعلماء كعبدالحميد بن باديس والبشير الإبراهيمي، تأثّروا بموجات الإصلاح في العالم العربي والاسلامي، وعزموا على تنوير العقول وتنقية القلوب،

*جريدة اسبوعية صدرت عام1927بقسنطينة، ثم انتقلت لتطبع في تونس بداية من العدد17 وهي صحيفة اجتماعية، أدبية، انتقادية، سياسية، فكاهية، تبرز كل يوم اثنين في الأسبوع، مديرها رحموني محمد عبد المجيد، وانتقدت بشدة كل مظاهر البدع والخرافات، والتجنيس، الأمر الذي عجّل بغلقها سنة 1927م من طرف الإدارة الفرنسية. ينظر: صادق بلحاج، **الصحافة العربية في الجزائر بين إلتيارين الإصلاحي والتلقليدي، 1939/1919م**، دراسة مقارنة، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2012/2011، ص53.

والعـزم علـى النهضـة مـن السـبات الطويـل الـذي تسـبب فيـه الاسـتعمار ومعاولـه الخبيثـة مـن أعوانـه الجزائـريين كـالعملاء والطـرقيين وغيـرهم مـن وجـد فيـه وسـيلة لتنويم الجزائريين وسلب إرادتهم وغزو عقولهم وتخدير أفكارهم بما ينشره مـن سـموم حتى أصبح قطاع واسع من الشعب يؤمن بالخرافات والبدع والدجل، ويتوسّل فـي القبب والقبور والأضرحة، وينتظر في المهدي المنتظر وفي تحقيق المشيئة الإلهيـة وكلّها من غرس الاستعمار وأعوانه من الطرقيين.

قبل تأسيس جمعية العلماء اجتمع روّاد الإصلاح الـديني وتفاهموا علـى خطة مشتركة ومدروسة لمواجهة الفساد الديني والاجتماعي والسياسـي، معتمـدين على العمل الصحافي الذي كان بمثابـة مـدارس متنقلـة[1]، وقـد كتبـت جريـدة البـرق* عن هذا اللّقاء: **" أنّ المصلحين اتفقوا في أحد اجتماعاتهم في رمضـان 1256ه/ 1928م على خطّة لمحاربة الطرقية "**[2]وتجنّد للعمليـة كـل مـن: الشـيخ الطيـب العقبـي، والعـزوزي حوحـو، البيضـاوي، السـمهري، الأسـتاذ العمـودي، الأسـتاذ الزاهري المبارك الميلي، ووسيلتهم ي ذلك جريدتي الشهاب والبرق.

تبقى جمعية العلماء المسلمين من الحركات التي يمكن تمييزها مـن بـين حركات الإصلاح الإسلامي، وحركة اجتماعية للتجديد الأخلاقي[3].

---

1 مـــازن صـــلاح حامـــد مطبقـــاني: ، جمعيـــة العلمـــاء المســـلمين الجزائـــريين ودورهـــا فـــي الحركـــة الوطنيـــة، 1939/1931/1249125م، اشراف محمد عبد الرحمان برج، جامعة طيبة، ص52،

2 Abderrahmane Bouchène: **Histoire de l'Algérie à la période coloniale**، Éditions LaDécouverte et aux Éditions Barzakh (Alger)، 2012،p538.

3 -عامر اقحيز: العلاقة بين أقطاب التيار الديني في لجزائر 19311954م، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وجمعية علماء السنة توافق ام عداء، مجلة الناصرية مجلد12، عدد2، دسمبر2021، ص428.

كانت عيون الاستعمار الفرنسي منذ البداية على ذلك التواصل المستحيل بين التيارين الإصلاحي والطرقي ويترقب ما سينجم عنه من تناقضات، وقد ضمت الجمعية تحت مظلّتها نخبة من العلماء المجددين والمحافظين، ومن أهمّ رجالها البارزين والمؤسسين: عبد الحميد بن باريس والبشير الابراهيمي الطيب العقبي، محمد الأمين العمودي، مبارك الميلي، إبراهيم بيوض، المولود الحافظي، مولاي بن شريف[1] ومجموع الذين ضمتهم الجمعية يقدر ب: 72عالما جزائريا من مختلف أرجاء الوطن انتخب ابن باديس رئيسا والذي حارب على عدة جبهات وجهات مختلفة كالاستعمار ورجال الطرقية ورجال التبشير المسيحي ودعاة الفرنسة والإدماج[2]، وكان الابراهيمي نائبا له ولخّص دورها هذا الأخير في قوله: **"وجمعية العلماء هي رمز الدين الصحيح وحارس الفضيلة الإسلامية وهي المثال المفسّر للحكمة المحمدية بأحسن تفسيراتها وهي المثل المضروب في مقاومة الباطل والمبطلين وهي مظهر القوّة الدينية اعتقادا وعملا"**[3].

نلتمس من خطابات رجال الإصلاح إنتقادات وتهجمات على التيّار الطرقي ورجالاته وممارساته، فهذا المبارك الميلي يقول فيهم: " أنه لا فرق بينهما في الجهل بما ينافي التوحيد ولا في الابتلاء بالمبتدعين والدجالين ولا في التبرك بالآثار احتماء من الأقدار ولا في التقرب من الأحجار والنفور من المرشدين والأخيار"[4].

[1] -عمورة عمار: موجز في تاريخ الجزائر، ط1.، دار ريحانة، 2 الجزائر، 2002، ص171.

2 Abderrahmane Bouchène: IBID ، 538.

3 - رشيد مياد، مبادئ ومجالات الإصلاح عند جمعية العلماء المسلمين مجلة الخلدونية، المجلد 9، العدد1، ص198.

[4] - رشيد مياد: المرجع السابق، ص198

كان بين الطرفين نوع من المهادنة قبيل التأسيس واستمر الوضع إلى غاية 1932م السنة التي تأسست فيها جمعية أهل السنة التي تضم الطائفة التي لفظتها جمعية العلماء خارج أسوارها، والتوافق الذي كان بين الطرق الصوفية والعلماء سابقا لم يكن إلّا ظرفيا ومصلحيا.

كان رجال الإصلاح أشداء على رأسهم بن باديس والابراهيمي، أمّا الطرقيون والمحافظون فكانوا على ريب من أمرهم فراحوا يدبرون الخُطط لوضع حدّ لروّاد الجمعية لنهم حسب ما يذكر الإبراهيمي استسلموا لسياسة الأمر الواقع ورضخوا لسلطة الجمعية عليهم ويقول فيهم: **" ولما تراءت الوجوه وتعالت أصوات الحق أيقن أولئك الفقهاء أنهم مازالوا في دور التلمذة وخضعوا خضوع المسلم للحق فأسلموا القيادة لنا فانتخب المجلس الإداري من رجال أكفاء جمعتهم وحدة المشرب ووحدة الفكرة... ووحدة المناهضين للاستعمار"**[1] وقد كان العلامة ابن باديس يدرك أنّ فساد العقيدة لدى المسلمين هو سبب تخلّف المسلمين الذين تركوا مصائرهم بين أيدي دعاة الشرك والإلحاد، وعلى رأسهم الطرق الصوفية[2].

4. التياران العُلمائي والطُرقي في مفترق الطرق:

وجد الطرقيون أنفسهم خارج أسوار الجمعية في عهد رئاسة الشيخ عبد الحميد ابن باديس وزادت الهوّة اتساعا مع مجيء الشيخ الإبراهيمي ومن أهمّ

---

1 هرنون نصيرة: المشروع الاصلاحي عند عبد الحميد ابن باديس، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، عدد50، ص08.

* الطريقة الدرقاوية من أكبر الطرق الصوفية في الجزائر، تنتشر بكثرة في وهران وتلمسان وكان على رأسها في نهاية العشرينات وبداية الثلاثينات من القرن 20 م الحاج مصطفى العشعاشي وانقسمت إلى عدة زوايا من أهمها الزاوية الهبرية للشيخ بن يلس، وزاوية الشيخ بوعبدلي. ينظر: عبد الرحمان بن بوزيان، موقف الطرق الصوفية من نشاط الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بتلمسان19321939، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد3، د.ت، ص ص 227-228.

الطرق الصوفية التي دخلت في عداوة معها: الطريقة الدرقاوية* والطريقة العليوية**

سعى شيوخ الطرق الصوفية إلى التوغل في مفاصل الجمعية والسّيطرة عليها والابراهيمي يرى أنّها تتاجر باسم الدين وهي أحد أعوان الاستعمار الفرنسي" **ظهر هؤلاء بمظهر مناقض للدين... ووقفوا في صف الحكومة مؤيدين لها خاذلين لدينهم"**[1]

تهيكل المغضوب عليهم من طرف المصلحين في جمعية العلماء أنفسهم داخل جمعية سمّوها أهل السنة، بتاريخ 15 سبتمبر1932م، ومن أبرز مؤسسييها الشيخ مولود الحافظي والشيخ مصطفى حافظ، والشيخ أحمد الأكحل الشيخ احمد حدوني، الشيخ تهامي، الشيخ الحاج سعيدي، وأغلب هؤلاء الشيوخ من أعيان ووجهاء العاصمة[2]واعتبرها الإبراهيمي جمعية حلولية[3] نازلت الجمعية وحاربت الإصلاح الذي كانت تجاهد من أجله، وبمجرد إعلان تأسيسها حتى لاحت في الأفق بوادر النشاط والحركية، من خلال اللقاءات والزيارات المتبادلة بين الطرقين وعلماء الجمعية.

وكانت جولات عبد الحميد بن باديس عبر الوطن يحلّ بالزوايا، يبادل شيوخها الحديث والرأي ويناقشهم في العقيدة والفكر الإسلامي، وخير مثال على

**طريقة صوفية أسسها أحمد بن مصطفى بن عليوة في مدينة مستغانم اتسمت بالشعائر الصوفية وكانت مركز لتحفيظ القرآن، ونشر مبادئ الإسلام ولها فروع كثيرة داخل الوطن وخارجه. ينظر صادق بلحاج: المرجع السابق، ص69.

1 -محمد البشير الابراهيمي، الطرق الصوفية، ط1، متبة الغرباء الأثرية، الجزائر، 2008، ص6.

2 - عامر اقحيز: المرجع السابق، ص435.

3 - نفسه، ص433.

ذلك زيارته لزاوية أحمد بن عليوة، كما كان البشير الابراهيمي يلقي دروسا بالزاوية الهبرية بتلمسان[1].

تتلخّص أهداف جمعية أهل السنة الجزائريين في أحياء العادات والتقاليد الدينية وزرع القيّم الفضيلة والأخلاق وفق ما جاء به القرآن والسنّة وتعاليم المذاهب الأربعة ومبادئ الفقه والتصوّف، والملاحظ على أنّ هذه الجمعية الجديدة تعتبر التصوف مصدر من مصادر الدين والأخلاق والتشريع والأحكام وهذا ما يتناقض مع عقيدة العلماء المسلمين.

أظهرت الطرقية وجماعة أهل السنة عدائهم جهارا نهارا لجمعية العلماء المسلمين، ومن مظاهر ذلك:

- وقوف الطريقة العليوية بالمرصاد لنشاط العلماء المصلحين في الغرب الجزائري وقيام شيوخ الطرقية بمنع العلماء من القيام بنشاطاتهم التعليمية والتربوية والإصلاحية بتلمسان.

- توظيف الآلة الاعلامية وتوجيها ضدّ جمعية العلماء المسلمين وعلى رأسها جريدة البلاغ ** في ظلّ النشاط الباديسي في تلمسان.

- الاتهامات والافتراءات ضدّ المصلحين، مع اتساع نشاطات الجمعية المتمثلة في الدروس والمحاضرات التي أثارت إزعاج وغضب الطريقة الدرقاوية في تلمسان وتحريض الطرقيين للإدارة الفرنسية، من خلال الرسائل والعرائض مثل العريضة

1 - مقال منشور على موقع: https: //binbadis.net/archives/1819

* جريدة البلاغ الجزائري صدر العدد الأول منها بتاريخ 14121926م بمدينة مستغانم وتمثل التجربة الثانية للصحافة العليوية تحت إشراف أحمد بن مصطفى العليوي وكانت تصدر أسبوعيا كل يوم جمعة، مقرّها لم يكن ثابت، فنجدها مرة في مستغانم، ومرة في العاصمة ومرة أخرى في تونس. ينظر: بن مزوز عامر، صحيفة البلاغ الجزائري19261948 وقضية فلسطين، مجلة دراسات، المجلد13، العدد 1، جوان 2022، ص169.

التي وجهها الشيخ مصطفى العشعاشي 1933م اتهمت الإبراهيمي بإثارة الفتن والشقاق وحرّضت على طرد الإبراهيمي من تلمسان.[1]

- الدسائس والمؤامرات من طرف أنصار الطرقية خلال الانتخابات البلدية 1935م، حيث حقق مناضلو الجمعية انتصارا ساحقا الأمر الذي ولّد امتعاضا كبيرا لدى الطرقيين والنواب المسلمين والطبقة البرجوازية المحسوبة على الفرنسيين.

- تحالف الطرقيون والنواب المسلمين الجزائريين في عدة مناسبات ضدّ العلماء المسلمين مثل الموقف من قانون التجنيس الفرنسي الذي صدر في 4 فيفري 1919م وتم تدعيمه بمجموعة قرارات فرنسية تتعلّق بالجزائريين مثل قرار 13 ديسمبر 1932م واتهام الطرقيون للعلماء المسلمين بقبول التجنيس بهتانا وزورا[2].

- يجب ألا ننكر أنّه كانت فيه صراعات منذ البداية، جمعيّة العلماء وبعض الطّرق والزوايا التي مالت عن المنهج الصحيح وخشيت على مصالحها وامتيازاتها، ولا أدلّ على ذلك مثل لقب المقدّم، وكان للفرنسيين دور في هذا ويصرح محمد الهادي الحسيني بأنّ هذه الصراعات كانت من البسطاء الجهلة وليس الشيوخ[3].

---

1 - محمد البشير الابراهيمي: الطرق الصوفية، المصدر السابق ص233

2- بوسعيد سوسة: الأحوال الشخصية الجزائرية في ميزان المشاريع الفرنسية الاستعمارية قراءة لموقف جمعية العلماء المسلمين، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، مجلد9، العدد3، ديسمبر 2018، ص151

3 - مقال منشور على موقع: https: //binbadis.net/archives/1819

5. قراءة وتحليل للخطاب الديني للشيخ البشير الإبراهيمي ضدّ الطرقية

ينظر للتصوف عموما بمنظارين إثنين: الأوّل الناقد والثاني المتقبل والمؤيد. إلّا أنّ البشير الإبراهيمي عند مراجعة خطاباته وكتاباته يُفهم منه أنّه كان يعلم بوجود علماء وفقهاء ومصلحين ضمن تيّار التصوف وعقيدتهم صافية ونابعة من القرآن والسنة، ويسوق في هذا قوله:

" ونحن نعلم من طريق التاريخ لا من طريق الشهرة العامة أنّ بعض صحاب هذه الأسماء الدائرة في عالم التصوف والطرق كانوا على استقامة شرعية وعمل بالسنة ووقف عند حدود الله، فهم صالحون بالمعنى الشرعي ولكنّ الصلاح لم يأتهم من التصوف والطّرق و إنما نتيجة التدين"[1].

وهو بذلك يطلق على هذا الصنف صالحين ومؤمنين، من خلال سلوكهم الظاهر القائم على الاستقامة والتقيّد بالسّلف الصالح، وهو ينفي دور التصوف في إضفاء طابع الصلاح عليهم ويقصي التصوف من خانة التدين.

يعدد الشيخ الإبراهيمي صفات الدخلاء على الدين الاسلامي الذين ادعوا التصوف في: الرقص، وضرب الطبول العبث بأحكام الدين، المجون سلب العقول الإلحاد، وفي حواره وخطاباته نحو اللجنة الفرنسية للتحرير الوطني التي أسّسها الجنرال ديغول وضّح لها المناورات الفرنسية التي ترمي لمنع المسجد من تأدية الدور الحقيقي الذي وجد من أجله وتهميش الدين الإسلامي و إغراقه في وحل التزييف والتحريف والخرافات والشعوذة وهو بذلك يشير للطرقية[2].

1 - محمد البشير الابراهيمي: الطرق الصوفية المرجع السابق، ص233.

2 - العربي الزبيري: تاريخ الجزائر المعاصر، ج1، منشورات اتحاد الكتاب العرب، د.م.ن، 1999م، ص41.

لم يتساهل الشيخ الإبراهيمي مع معتقداتهم وطقوسهم وتهجّم على ما يقومون به من دجل وخرافات فانتقد الأوراد والأذكار والأماديح الشعرية، وسخر من طريقة توريث الزعامة الدينية قائلا: **" فقد أصبح من أحكامها أنّ شيخ الطريقة لا يلد الّا شيخ طريقة وهم قطع الله دابرهم لا يعرفون من السنة الّا تناسلوا تناكحوا فكثر نسلهم، بكثرة الطرق الصوفية "**[1].

رغم نقد الشيخ الإبراهيمي للطرق الصوفية لكنه محسوب من تلاميذ زواياها وموقفه هذا يفسّر هذا التناقض، فسهامه ليست عبثية ضدّ الطرق الصوفية في عمومها، فهو يقر بوجود علماء وفقهاء داخل الطرق الصوفية ينتهجون كتاب الله وسنّة نبيه في معتقدهم ومعاملاتهم.

نجد نَقد الطرقية والمرابطين حتى عند مالك بن نبي الذي تميّز بعقلانيته وواقعيته في أطروحاته وكتاباته التي وضع فيها شروط النهضة الحضارية، وشخّص مشاكلها واقترح حلولا لها، وكان يرى في أفكار الدروشة والبدع والخرافات مظاهر للعفن السياسي والديني والاجتماعي الذي أصاب جسد الأمة الجزائرية، وفي معرض حديثه و إعجابه بالشيخ العقبي الذي أعلن الحرب على هؤلاء يقول: **"وكنت أعلم من جانب آخر أنه قاد المعركة ضدّ المرابطية في جريده Lehco de sahara '(صدى الصحراء) التي كان يصدرها ببسكرة بما أنني كنت دوما ضدّ الشعوذة والمرابطية فقد كنت أتوسّم في السّيد العقبي زعيما للاصلاح عوض ابن باديس"**[2].

1 محمد البشير الابراهيمي: الطرق، الصوفية، المرجع السابق، ص50

2 - مالك بن نبي: مذكرات ملك بن نبي (العفن) تقديم احمد بن نعمان، ترجمة نورالدين خندودي، ج1، ط1، 2007شركة دار الامة، ص44

جاء سردنا لموقف مالك بني النبي من باب الإستئناس الموضوعي، فهو نفسه ينتقد جمعية العلماء ورجالاتها بسبب تورطهم في العفن السياسي منذ 1936م، ويرى فيها شعوذة سياسية، وزردة وتبزنيس بعيدا عن الإصلاح والنهضة والوعي الذي سطرته لنفسها منذ البداية، فهذا موقف يختص به صاحب شروط النهضة ولا يمكن مهما كان تقديس الأشخاص والأفكار، لأنّ مهما بلغت درجة الموضوعية تبقى نسبية وعرضة للنقد والمراجعة.

فالجمعية الإصلاحية تنتقد الطرقية والشعوذة الدينية ولكنها تمارس الشعوذة السياسية بالمنطق البنابي الذي عندما نطالع كتاباته نعثر على أسباب نقده للجمعية ودورها، والتي تحوم حول رفض الشيخ ابن باديس التجاوب مع أفكاره وروحه التّقنيه التي حاول زرعها في الشباب مما عرقل مشاريعه الصناعية التي عزم على تحقيقها، وجّه أيضا نقده نحو العلّامة عبدالحميد بن باديس ومن معه بحجّة إنخراطهم في مشروع بلوم فيوليت متهما إياهم ب": **مجموعة مسكينة من الخانعين الفاترين**" [1] ويبدو أنّ تضخيم الذّات وتقديس أعمالها هو ظاهرة معروفة في التاريخ.

وفي الجزائر استفحلت وشاعت ظاهرة الزعامة السياسية والدينية والعسكرية وحتّى مالك بن نبي وقع في فخّها عندما راح يطرق الأبواب في الداخل والخارج وهناك قرائن عدة في مؤلفاته تشير إلى أنه كان ناقما على المجتمع الأهلي والفرنسي الذي حرمه من تجسيد أفكاره، وفعلا كان كالذبابة التي ازعجت العنكبوت كما قال.

1 - مالك بن نبي: المرجع السابق، ص127.

سواء كان بن نبي أو الإبراهيمي أو ابن باديس أو غيره، فهم يمثلون عقل جزائري إصلاحي ينظر كل منهم للتغيير من منظار مغاير، و إذا فحصنا المواقف أنداك فإننا نرى أنّ الرّوح التقنية التي يمثلها مالك بن نبي والرّوح الدينية التي يمثّلها العلماء المسلمين الجزائريين والرّوح الصوفية التي يمثّلها الطرقيون، كانت تتحرّك ضمن واقع استعماري مرير حاول كل طرف الخروج منها بأقل الأضرار.

وجدت ظاهرة الطرقية المنتشرة في الجزائر مجالا خصبا في أحضان فرنسا التي لم تدخّر جهدا للقضاء على الإسلام والمسلمين، من خلال غلق مدارسه ومساجده ويقول كميل ريسلير: **" أطلقت فرنسا مشروعا واسعا لزعزعة استقرار المجتمع الأهلي ثقافيا ودينيا...ثم ركّزت على إضعاف الزوايا أو تحقيق الوصاية عليها باعتبارها ملاذات للهوية العربية الاسلامية".**[1]

1 - كيميل ريسلير: السياسة الثقافية بالجزائر أهدافها وحدودها (19621830)، ترجمة وتعليق نذير يار، دار كتابات جديدة للنشر الالكتروني، ط1، 2016، ص 88.

استنتاج

- يعد الشيخ البشير الإبراهيمي من الشخصيات الجزائرية الذين سطروا أسمائهم في سجّل الإنجازات الثقافية والفكرية والأدبية.

- برز اسمه في ثلاثينات القرن العشرين مع تبلور الحركة الوطنية الجزائرية (التيار الإصلاحي، التيار الاستقلالي، التيار الاندماجي، التيار الشيوعي) التي أخذت على عاتقها الدفاع عن القضية الجزائرية بالطرق والوسائل السياسية.

- ناضل الشيخ الإبراهيمي في سياق واقع مفروض على الجزائر منتهجا الاستراتيجية الإصلاحية بمعية نخبة من العلماء والشيوخ الذين كانوا أعضاء في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

- حارب كل مظاهر الجهل والأمية، ووقف بالمرصاد لممارسات الطرقية والدجل والخرافات والسّحر والشعوذة بفكره الإصلاحي، ودعوته النهضوية يحثّ بالعودة إلى العقيدة الإسلامية الصافية، والتحذير من مطايا الاستعمار الفرنسي والمتمثلة في: العملاء، وموظفي الإدارة والقضاء، والزوايا والطرق الصوفية المنحرفة التي تتمتع بمزايا مادية ومالية أغدقت بها فرنسا عليها.

- تحمل الشيخ الجليل مع إخوانه في جمعية العماء المسلمين عبئ التعليم والإصلاح والتربية والتهذيب في وجه إرهاب الإدارة الفرنسية وعملائها.

كانت جمعية العلماء المسلمين منبر ديني و إصلاحي، و إشعاعي، كان لها مجموعة من الآليات جعلها تنجح في تحقيق غايتها من الإصلاح وهي: المدارس التعليمية، الصحافة، المحاضرات، الندوات، الحطب في المساجد.

المصادر والمراجع:

1.الابراهيمي محمد البشير: **من أنا**، تحقيق رابح بن خويا، منشورات الوطن، 2018.

2. : **الطرق الصوفية**، ط1، متبة الغرباء الأثرية، الجزائر، 2008.

3.اقحيز عامر: العلاقة بين أقطاب التيار الديني في لجزائر 19311954م، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وجمعية علماء السنة توافق ام عداء، ***مجلة*** الناصرية مجلد12، عدد2، دسمبر2021.

4. بلحاج صادق، **الصحافة العربية في الجزائر بين إلتيارين الإصلاحي والتلقليدي، 19191939م، دراسة مقارنة**، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 20112012.

5.بن مزوزعامر، صحيفة البلاغ الجزائري19261948 وقضية فلسطين، ***مجلة*** دراسات، المجلد13، العدد 1، جوان 2022.

6.بن بوزيان عبد الرحمان، موقف الرق الصوفية من نشاط الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بتلمسان19321939، ***مجلة*** المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد3، د.ت.

7. بوسعيد سوسة: الأحوال الشخصية الجزائرية في ميزان المشاريع الفرنسية الاستعمارية قراءة لموقف جمعية العلماء المسلمين، ***المجلة*** المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، مجلد9، العدد3، ديسمبر2018.

8.بن نبي مالك: **مذكرات ملك بن نبي (العفن)** تقديم احمد بن نعمان، ترجمة نورالدين خندودي، ج1، ط1، 2007شركة دار الامة.

9.هرنون نصيرة: المشروع الاصلاحي عند عبد الحميد ابن باديس، ***مجلة*** العلوم الانسانية والاجتماعية، عدد50.

10.الطيب جاب الله: دور الطرق الصوفية والزوايا في المجتمع الجزائري، ***مجلة*** معارف، المجلد 8، العدد15، 2013.

11.كيميل ريسلير: **السياسة الثقافية بالجزائر أهدافها وحدودها (19621830)**، ترجمة وتعليق نذير يار، دار كتابات جديدة للنشر الالكتروني، ط1، 2016.

12. مازن صلاح حامد مطبقاني: **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية، 1939/1931/125/1249م**، اشراف محمد عبد الرحمان برج، جامعة طيبة.

13.مياد رشيد: مبادئ ومجالات الإصلاح عند جمعية العلماء المسلمين ***مجلة*** الخلدونية، المجلد 9، العدد1.

14.نويهض عادل: **البشير الابراهيمي عظيم الجزائر**، دار الأبحاث، الجزائر.

15.: **معجم أعلام الجزائر من صدر الاسلام حتى العصر الحاض**ر، 2، مؤسسة نويهض، بيروت، 1980.

16. عمارعمورة: موجز في تاريخ الجزائر، ط1.، دار ريحانة، 2 الجزائر، 2002. عمار

17.الزبيري العربي: **تاريخ الجزائر المعاصر**، ج1، منشورات اتحاد الكتاب العرب، د.م.ن، 1999م.

18.عائشة قرة: دور صحافة العلماء المسلمين الجزائريين في تعزيز مكانة المرأة في المجتمع الجزائري، قراءة في صحف جمعية العلماء المسلمين، ***مجلة*** أفاق للبحوث والدارسات، العدد2، المجلد 2، 2018.

19.شغري شهرة: **الخطاب الدعوي عند جمعية العلماء المسلمين، الجزائريين، دراسة مقارنة بين عبدالحميد بن باديس والبشير الابراهيمي**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الدعوة الاسلامية، قسم علوم الدين، جامعة الحاج لخضر باتنة، 20082009.

20.Abderrahmane Bouchène: **Histoire de l’Algérie à la période coloniale**، Éditions LaDécouverte et aux Éditions Barzakh (Alger)، 2012،p538.

21.É RIC MEYER: La guerre d’algérie ،***revus*** geo histoir،fivrier_mars،،n 61. 22.jean Balazuk: gurrre d’algerie،une chronologie mansuelle،mai1945_décembre1962،l’harmatan’

23 مقال منشور.: https: //www.dknews-dz.com/article/154777-cheikh-bachir-el-ibrahimi-a-affronte-le-presume-projet-intellectuel-colonial-menacant-lidentite-nationale.html

مقال منشور على موقع.24: https: //binbadis.net/archives/1819

الحسّ النقدي عند زوهير إحدادن لحظة وعي في التاريخ الجزائر

توطئة.

1.زوهير إحدادن السّيرة والمسيرة.

2.احدادان وابن خلدون حدود وتفاعلات.

3.مفهوم التاريخ عند إحدادن وابن خلدون.

4. أهم مؤلفاته في حقل التاريخ.

5.التاريخ الوطني تحت مجهر النقد لزوهير إحدادن.

6 نقد التاريخ عند زوهير إحدادن، رؤى وقناعات.

استنتاج.

قائمة المصادر والمراجع.

توطئة:

إذا كانت الكتابة التاريخية ميدان وحقل المؤرخ الذي يبحث ويستقصي آملا في زرع الحياة في وثائقه التاريخية التي بين يديه، ومهما كان شكلها وطبيعتها فإنّه ينشد الفلاح في حقله، فيكدّ ويجتهد حتّى تثمر ما صنعته يديه من إنتاج معرفي وتاريخي.

لا تتعاطى مهنة المؤرخ اليوم مع الظواهر فقط بل تتعدّاها إلى فلسفة ما يبدو عادي وظاهري لإعادة عقلنة التاريخ، بعيدا عن التخمينات والعموميات وتوظيف آليات التعليل التفسير والتحليل والتركيب لفهم الحقائق التاريخية والتاريخ الجزائري يستجدي اليوم طرح أسئلة جريئة بعيدا عن أين ؟ ومتى ؟ متجاوزة ذلك إلى بلورة فلسفة التاريخ الوطني لماذا ؟ وكيف؟

هناك بعض من حاولوا لبس عباءة الفيلسوف لكن لم يصل بهم مركبهم إلى شاطئ التاريخ الإشكالي، الذي يعبّر عن لحظات وعي تاريخي لكن هناك من كان تفكيره إيجابيا وفهمه للتاريخ أشمل من البقية كزوهير إحدادن، باعتباره شخصية عكست كائن تاريخي واعي بتاريخ أمته وبلاده حلّق في فضاء الإشكاليات فوق سطحيات التفكير التاريخي المؤدلج والمسيّس، والمرتبط بقدسية الماضي.

1. زوهير إحدادن السيرة والمسيرة

تفرض اللّحظات الواعية التي يصنعها الرجال نفسها على المجتمع لإعادة النظر فيما كُتب لمواصلة مسيرة التدوين، ووصل حلقات السلسلة ببعضها البعض لأنّ فكر الرجل أثار عقل المؤرخ بتساؤلاته و إشكالياته، واستفزه بها للانخراط في صفّ النّقد الجاد وتوظيف الآليات الخلدونية في جسّ نبض التاريخ الوطني.

ولد زهير إحدادن في 17 جويلية 1929م بسيدي عيش بولاية بجاية، تخرّج بشهادة اللّيسانس في اللّغة العربية وآدابها من جامعة الجزائر ثمّ شهادة دكتوراه الدولة في العلوم السياسية من جامعة باريس[1].

تجنّد الرجل في صفوف حزب الشعب الجزائري في منطقة قسنطينة، لينتقل بعدها إلى الجزائر العاصمة لمواصلة دراساته العليا، ليمارس فيما بعد مهنة التعليم كأستاذ بثانوية مليانة سنة 1955م.إلا أنّ الاحتلال الفرنسي ألقى عليه القبض وأودعه السّجن لينفيه إلى وهران، حيث أُلقي القبض عليه مرة أخرى قبل أن يهرب من السجن.

بعد خروجه توجّه إلى فرنسا انتقل إلى تونس لمواصلة عمله النضالي وبعدها إلى المغرب[2] ليعود في العام 1962م إلى الجزائر كمدرّس بثانوية الإدريسي ثم ساهم في تأسيس المدرسة العليا للأساتذة بالقبة وعمل في مديرية النشر والتوزيع بوزارة الثقافة لمدة خمس سنوات، ومن ثمّ تحوّل إلى وزارة التعليم العالي والمدرسة العليا للصحافة. وفي سنة 1976م قرّر متابعة دراسته العليا بفرنسا فدرس بالسوربون، ثم عاد إلى الجامعة الجزائرية فدرّس بها[3]، ثم تفرّغ في فترة تقاعده إلى تأليف عدد مهم من الكتب التاريخية من ضمن مؤلفاته: "التاريخ المستقل للمغرب"، "شخصيات ومواقف تاريخية"، "مدخل إلى علوم الإعلام والاتصال".

1- لعوج نصرالدين: رؤية الإعلامي زوهير احدادن لتجربة جريدة المجاهد في إعلام الثورة الجزائرية 19561962م، ديسمبر22021.المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، مجلد8، العدد2، ص ص 200202

2 https: //www.elhiwardz.com/national/110523/

3-عبد الرحمان بن خلدون: الرحلة، منشوراتلي بيضون دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004، ص3.

2. إحدادان وابن خلدون حدود وتفاعلات

يقف القارئ عندما يقرأ لزوهير إحدادن أمام منهج تاريخي جديد حاد وصارم بعيدا عن السّطحية، الإجارار، والتقزيم والتعظيم يقلّب صفحات التاريخ بهدوء فيلاحظ مجموعة أحداث وظواهر ووقائع ليس كحقائق وأفكار مقدّسة وفي نقده يتأمل ويتعمق لا يكتفي بالظواهر دون البواطن بفكر مقاربا الفكر الخلدوني منهجا وموضوعا فكيف ذلك؟

يعد عبد الرحمان بن خلدون رائدا في الكتابة التاريخية سابق لعصره بسنوات عالم مؤرّخ، فيلسوف، ولد في تونس عام 732ه[1]، نهل من عدة علوم تنقل بين عدة بلدان، فحظيت به بلاد المغرب بأقطارها والأندلس وبلاد المشرق، فشخصيته كانت وليدة بيئته ومحيطه الذي عاش فيه اختبر ظروف السّجن، و الفقر، والحروب، والسياسة بسرائها وضرائها توفي عام 808ه عن عمر يناهز 65 سنة وترك ورائه عدة مؤلفات خالدة من بينها:

- تلخيص المحصل لفخر الدين الرازي.
- رحلة بن خلدون.
- شرح الرجز لابن الخطيب في الأصول.
- شرح قصيدة ابن عبدون.
- شرح قصيدة البردي.

1 - جمال عبد الهادي محمد مسعود، وفاء محمد رفعت جمعة: أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ، منهج كتابة التاريخ الإسلامي، ط3، الوفاء للطباعة والنشر، 1994، ص235.

- **وأهم كتبه قاطبة:** كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر.

أحدث المنهج التاريخي عند ابن خلدون نقلة نوعية في تاريخ المعرفة منهجا وموضوعا، بعيدا عن الغيبيات اليونانية والماديات الماركسية والمثاليات الهيجيلية، واستطاع أن يزاوج ويوفّق بين كل المدارس التاريخية لتصبّ في قالب المدرسة الخلدونية التي أحدثت ثورة منهجية ومعرفية جعلت كتاب الغرب ينبهرون بها ويتأثّرون بمبادئها.

لكن تاريخ المغرب الإسلامي أحوج إلى علم ابن خلدون وفلسفته، وللأسف مدارسنا وجامعاتنا تلقّن أجيالا تاريخا ينبض بالحماس والعاطفة لا بالمنطق والعقل، والجزائر إحدى الدول الإسلامية التي تعرّض تاريخها للتشويه والتحريف والتزييف، ونال التاريخ الإسلامي بمرجعيته ومنهجيته ونخبه حظّا وفيرا من تأثيرات الحضارة الغربية[1].

والظاهر أنّ النّقد التاريخي عند المؤرخين الجزائريين منذ تأسيس المدرسة التاريخية الجزائرية مازال يقتضي منا جهودا كبيرة ومتواصلة لإحداث قطيعة نهائية مع الكتابة السّطحية، والمنقولة، المشوهة، والمحرّفة والمزيّفة ويقول في ذلك قاسم يزبك: **" ويلزم للمؤرخ أن تتوفر فيه ملكة النقد فلا يجوز أن يقبل كل كلام أو يصدق كل وثيقة أو مصدر بغير الدرس والفحص والاستقراء...ومن الضروري أن يكون المؤرخ ذا عقل واع مرتب ومنظم"[2].**

1- قاسم يزبك: التاريخ ومنهج البحث التاريخي، ط1، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1990، ص46.

2- عبد الرحمان بن خلدون: المقدمة، د.ت، بيروت، د.ت، ص1.

منذ تأسيس المدرسة التاريخية الوطنية ورغم المحاولات المتواضعة في مجال كتابة التاريخ، إلا أن المنهج الخلدوني كان يعوزّ المؤرخين الجزائريين لهدم التصورات والمفاهيم والإيديولوجيات التي بثّها الاسشراقيون عموما والفرنسيون خصوصا بين طيّات الكتب ولم يستفيدوا من المنهج الخلدوني في عمليات النقد والتدوين.

صدر عن ابن خلدون وعي تاريخي حاد جعل اهتمامه بالتاريخ قويا وعميقا ذلك معنى تمييزه بين "ظاهر لا يزيد عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأولى، وباطن نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق"[1].

وصل الأمر بالمؤرخين الأوروبيين إلى تفسير كتابات ابن خلدون كتابة مغرضة، وتبعهم أقرانهم من الجزائريين، فمحي الدين جندر ينتقد ابن خلدون ويعاتبه لأنه تأثّر بالتفسير الاستعماري لكتاباته التي أقرّت مجموعة من الثنائيات، كالعرب في مواجهة البربر وصنهاجة في مواجهة زناتة وغيرها، أمّا محمد بن مبارك الميلي فاعتبره مؤرخ في خدمة الدول البربرية التي قامت بعد الدولة الموّحدية[2]، وهذه الأحكام الصادرة عن سوء قراءة للإرث الخلدوني.

والتاريخ الوطني محشو بالتضليل والكذب والتحريف، ولا أدلّ على ما كان يؤمن به مالك بن نبي رحمة الله عليه أنّ تدهور حال العالم الإسلامي مردّه إلى أنّ تفسير القرآن مملوء بالخرافات والإسرائيليات[3]، وما بالك بالتاريخ الوضعي

1- محمد غالم: المؤرخون الجزائريون والمرجعية الخلدونية، انسانيات، عدد مزدوج، 6566، ديسمبر، 2016.

2- مالك بن نبي: العفن ترجمة نورالدين خندودي، تقديم أحمد بن نعمان، ج1، ط1، دار الأمة، برج الكيفان، 2007، ص37.

3- محمد الطيب العلوي: مظاهر المقاومة الجزائرية 1830/1954م ط2، منشوات وزارة المجاهدين الأبيار، الجزائر، ص08.

نعتقد أن ما دوّنه إحدادن عن تاريخ الجزائر يصبّ في خانة التخلّص من عقدة الكتابة الاستعمارية، يقول في هذا الاتجاه محمد الطيب العلوي: «**يتعيّن علينا أن نتجه مباشرة الى تسجيل تاريخنا بأنفسنا فالمثل يقول: ماحك جلدك مثل ظفرك، لأنّ كل مؤرخ أجنبي عندما يحلل الأحداث التاريخية يحللها بمنظاره الذي أعدّه مسبقا**"[1].

وهناك من الأوروبيين من يدعوا لإعادة كتابة تاريخ جديد للعرب والمسلمين، لأنّ ما كتب من قبل يخالطه الكثير من الدجل والكذب مثلما يقول بيير روسي: "**إننا نعرف عندما نتكلم عن الوطن العربي أننا في سبيل معارضة نظرية مقدّسة تجعل من العربي شخصية صحراوية انبثقت في التاريخ في عهد غير محدد أو معروف**"[2].

من ابن خلدون إلى زوهير إحدادن مسيرة متواضعة من التدوين التاريخي في الجزائر.

فزوهير إحدادن يرفض:

- القوالب الجاهزة.
- التعامل بعاطفة وحماس مع لحدث والظاهرة.
- المفاهيم الجاهزة.
- السّطحية والسذاجة في قراءة وتدوين التاريخ.
- العاطفة الجياشة.

1- بيير روسي: التاريخ الحقيقي للعرب، ترجمة فريد جحا، ط3، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، 2004، دمشق، ص18.

2- المعجم الوسيط ط4، مكتبة الشروق الدولية، ص580.

ومن خلال شخصية زوهير إحداد، وكتاباته يبدو أنّه تأثّر بمنهج ابن خلدون، وهو الذي استفاد منه ووظّف منهجه فيما دوّنه من كتب تعبّر عن نوع من القطيعة المعرفية مع الماضي، وعند قراءتنا للتراث الذي تركه إحدادن نجد أّن فكره وأسلوبه في التدوين التاريخي يتجاوز المفهوم السّطحي والسّاذج للتاريخ، ليلتقي مع ابن خلدون منهجيا ومعرفيا كيف ذلك؟

3. مفهوم التاريخ عند إحدادن وابن خلدون:

قرأنا الكثير من التعاريف للتاريخ في المصادر والمراجع فوجدناها تتوافق وتتقاطع في ثلاث نقاط وهي أن التاريخ يعني إما:

- الماضي.
- تدوين هذا الماضي.
- الماضي وتدوين أحداثه.

عندما نقف مليا عند عنوان الكتاب الخالد لابن خلدون وهو: "كتاب "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر" نجد مفهوما شاملا وكاملا للتاريخ عنده، بالرجوع لقاموس الوسيط لشرح مصطلح العبر نجده يدور حول:

- عَبَر عَبرًا: جرت دمعته ولقَوْم: ماتوا والنهر عَبراً وعُبوراً: أي قطعه من شاطئ الى شاطئ.
- والكتابَ عَبراً: تدبّره في نفسه ولم يرفع صوته بقراءته
- عبّر الرؤيا عَبراً وعبَارة: فسّرها، لقوله تعالى " ان كنتم للرؤيا تعبُرُون"[1].
- عَبِرَ عَبِراً: جرت دمعته، ونقول عابِرُ، وهو عَبِرُ، وهي عَبِرةُ، والجمع عَبارَى.

---

1 -زوهير احدادن: شخصيات ومواقف تاريخية، منشورات دحلب، حيدرة، الجزائر، 2012، ص06.

- عَبّرَ عما في نفسه: أعرب وبين بالكلام.
- عبّرَ عينه: أبكاه.
- اعتَبَرَ الشيء: اختبره وامتحنه ومنه تعجب واعتبر به واتعظ به.
- الإعتبار: الفرض والتقدير.
- العابر: المسافر.
- العابرة: كلمة عابرة أي قيلت عفويا دون قصد.
- العبارة: الكلام الذي يبين ما في النفس من معان.
- العُبِرُ: الكثير من الشيء.
- العَبر، والعِبر، والعُبر: يقال رجل عَبِرُ أسفار وجمل عَبِرُ أسفار: قوي عليها.
- العَبْرَةُ: الدمعة من العين.
- العَبُور من الغنم: ما كانت فوق الفطيم من اناث الغنم.
- العَبِير: أخلاط من الطيب، وقوم عبير أي كثير.
- المِعبَرُ: القنطرة.
- المَعبَرُ: الشط المهيأ للعبور.

من خلال كل هذه المعاني والمدلولات فإن لفظة العبر تصب في الأوعية التالية:

- القوّة.
- القدوة.
- الشدّة.
- الاختبار.
- الكثرة.
- الامتحان.
- المثال.
- التبيان والتوضيح.
- الجريان والسيلان.
- التفسير.

استطاع بذلك ابن خلدون أن يضع مفهوم عام وشامل للتاريخ من خلال وضع عنوان معبّر عن محتوى كتابه: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر إذا جاز لنا القول، وأن كل هذه المعاني تعتبر طبقات يتخللها جوهر واحد، وهو ما نعبّر عنه بالوعي التاريخي الذي يربط بينها ليصنع نسيج واحد ألا وهو الوعي بالتاريخ.

يقول زوهير إحدادن "أن العمق التاريخي الذي انبثقت منه الجزائر هو عمق زاخر بالأحداث الحضارية الاصيلة التي تجعل تاريخنا في أعلى مقام بين الحضارات العالمية"[1] من خلال ما قاله تتبدى لنا تلك العلاقة بين التاريخ والإنجاز الحضاري لأيّ أمة، والعكس هو الصحيح أنّ الأمّة التي ليس لها حضارة ستكون على الهامش أو أمة غابرة مجهولة ستبقى طيّ النسيان وكأنّ التاريخ هو تعريف للحضارة من وجهة أخرى عند إحدادن.

فالتاريخ ليس تلك الأصنام من المفاهيم الجامدة التي تعوّدنا عليها التي تحصره في الماضي وتسجّله الماضي بل التاريخ يسمو فوق ذلك ليكون عِبَراً كُتبت ودُوّنت بروح ناقدة، تشكل روحا حيّة تحرّك الأحداث والوقائع والظواهر من جديد، روح واعية تخرج الخبايا السارية والجارية سواء كانت بسيطة أو معقّدة أو كثيرة لتحولها إلى أخبار مع مرور الزمن الهدف منها التبيان والتوضيح، والتفسير، الاختبار، الامتحان، القدوة، والامتثال.

4. أهم مؤلفاته في حقل التاريخ

لزوهير إحدادن مجموعة مؤلفات في التاريخ والإعلام، جمع فيها عصارة أفكاره وتجاربه وثقافته نذكر منها:

1 - زوهير احدادن: المختصر في تاريخ الثورة الجزائرية، ط1، مؤسسة احددن للنشر والتوزيع، القبة 2007، ص10.

1.4. كتاب "المختصر في تاريخ الثورة الجزائرية 1941962":

جاء هذ الكتاب كملخص لتاريخ الثورة لجزائرية منذ1954 إلى غاية الاستقلال 1962، وقد عبّر صاحبه عن السبب الدافع لتأليفه وهو إعطاء صورة دقيقة، ومتكاملة عن تاريخ الجزائر في هذه الفترة بدون تجزئة في حوالي 123 صفحة، أثار فيه عدة مواضيع حساسة وهو الشاهد على عصره لما عرفته الثورة من انتصارات وانتكاسات، ونلخّص ما جاء في متن مؤلفه إلى أربع أبواب: في الباب الأول أربع فصول والباب الثاني ثلاث فصول والباب الثالث 3 فصول إضافة الى الخاتمة والملاحق وهي كما يلي:

ففي الباب الأول تحدّث زوهير إحدادن عن اندلاع الثورة بداية من أزمة حزب الشعب الجزائري والانقسام داخل بيته، وما نجم عنه من تطورات المتمثلة في بروز التوجه نحو العمل المسلّح 1947م وتعثّره، إلّا أنّ مسيرة النضال لم تتوقف بل ازداد حماس المناضلين لجمع شتات بيت حزب الشعب المنقسم على نفسه وتوّجت جهودهم بتأسيس مجموعة ال 22، التي انبثقت عنها قيادة أركان الثورة الستة، هذا المولود الجديد أحدث صدمة في صفوف المحتل الفرنسي وبقية الأحزاب ليجابه بالآلة الاستعمارية.

ينتقل بعدها الباحث إلى إبراز هجمات 20 أوت 1955م، مع تطوراتها وانعكاساتها وأعقب ذلك بالكتابة عن مؤتمر الصومام20 أوت 1956م وما أحدثه من نقلة نوعية في النضال الثوري رغم الخلافات بين قيادة الثورة في الداخل والخارج.، ولخّص أيضا بعدها إضراب8 أيام سنة 1956م وما نجم عنه من تداعيات داخلية وخارجية، كما أشار لبعض المواضيع كقضية التسليح والمعارك

الكبرى، والنزعة المصالية، وفي الفصل الموالي ذكر تأسس الحكومة الجزائرية المؤقتة 1958 م وبيّن أهمّ الأحداث التي عرفتها الثورة بين 19581960م.

أرّخ أيضا لاجتماع العقداء 1960 ومظاهرات 11 ديسمبر 1960م، والتحدث عن اجتماع المجلس الوطني للثورة 1961م، وفي 1962م، وما صاحبها من مراحل وتطورات نحو استقلال الجزائر.

4. 2. كتاب شخصيات ومواقف تاريخية

يعد هذا الكتاب من أهمّ مؤلفاته، جاء في 210 صفحة، قسّمه إلى بابين إثنين وكل باب إلى خمس فصول فالباب الأول عنونه بشخصيات تاريخية عالج فيه مراحل انتشار الإسلام في الجزائر وبعض الشخصيات التاريخية، كصولان بن وزمار، عقبة بن نافع، كسيلة، الكاهنة، حسان بن نعمان طارق بن زياد، موسى بن نصي بروح نقدية بعيدا عن النقا، وتكرار المعلومات، بعدها انتقل ليذكر أهم الدول التي تأسّست في الجزائر كما أورد قضية التجربة الديمقراطية في الإسلام.

في الباب الثاني الموسوم بقضايا تاريخية تدرّج فيه إحدادن بالكتابة عن بعض الجوانب التاريخية كالمقراني وتأسيس حزب نجم شمال إفريقيا، ومجازر 8 ماي 1945م، وصولا للثورة الجزائرية واختتمه بالكلام عن التجربة الديمقراطية في الجزائر. وجدناه بطريقة ما يوغل في باطن هذا التاريخ، مبرزا وجهة نظره في قضايا تاريخية كانت من المحرّمات والمسكوت عنها الى وقت قريب ومن المواضيع البارزة التي أثارها قضية الزعامة وقيادة الثورة التحريرية،[1] واعتبر أن عمليات الاغتيال أو التمرّدات في الثورة نتيجة طبيعية لمبدأ القيادة الجماعية.

---

1 - محمد عربي ولد خليفة: المفهوم والمصطلح نحو قواعد للمعطيات المفهومية، مجلة مجمع اللغة العربية، مج79، ج3، ص555.

5. التاريخ الوطني تحت مجهر النقد لزوهير إحدادن

5. 1. قضية المصطلحات

يثير زوهير إحدادن إشكالية المفاهيم والمصطلحات في تاريخ الجزائر كمصطلحات الثورة والكفاح المسلّح وحرب التحرير، فكل مفهوم يحمل معاني ودلالات تختلف عن الأخر ممّا ينجرّ عن استخدام هذه المفاهيم مواقف واستنتاجات مغايرة وهذا يدلّ على أنّ مفاهيم علوم الإنسان مرنة وفضفاضة، ومتغيّرة ولا ترقى إلى مرتبة العلوم الدقيقة [1]، لذلك نجد غموضا والتباسا في استخدام الكثير من المفردات في التاريخ، وينبّه لذلك إحدادن، مبيّنا الصحيح من العليل في هذا السياق.

فقد شاع استخدام مصطلح الثورة**Revolution** والتي تعني حركة داخلية لتغيير نظام سياسي داخلي وهذا لا ينطبق على ما حدث في الجزائر منذ1830م إلى غاية 1962م[2]، أمّا مصطلح الكفاح فمعناه يتسم بالضعف ولا يستقيم إلّا إذا ارتبط بمجاله فقد يكون سياسيا أو عسكريا، وبالتالي فإسقاطه على ما جرى في الجزائر يقلل من قيمته ويقزّمه حسب احدادن[3].

بقي مصطلح حرب التحرير الذي يتوافق ومجريات وتطورات الأحداث ما بين 1945/ 1962م، لكون الحرب تقع دائما ما بين دولتين، وحرب الجزائر ضدّ فرنسا لها هدف وبعد تحرري[4]، بسبب تعرّضها لاعتداء جيش دولة أجنبية كانت لها

1- زوهير احدادن: المرجع السابق، ص146.

2- نفسه، ص146.

3- نفسه.

4- زوهير إحدادن: شخصيات ومواقف تاريخية، المرجع السابق، ص15.

علاقات سابقة معها وتتعامل معها بالندّية، لكن رغم دعوته لاستخدام مصطلح حرب التحرير فإنّ كتاباته لا تخلو توظيف مصطلح الثورة، وهذا أمر يدعوا للتساؤل.

5. 2. التحقيب التاريخي الجزائري

يدعوا المؤلف إلى تحقيب جديد بالنظر في المراحل التاريخية التي مرّت بها الجزائر وتجنّب استعمال مصطلح الاحتلال وتعويضه بالمقاومة ويقول في ذلك: **" انطلاقا من ملاحظاتي السابقة حول طابع التبعية لتاريخنا حسب الإيديولوجية الاستعمارية فإنّ المؤرخين يقسمون تاريخنا الى فترات احتلال: الفينيقيون، الرومان، الوندال، البيزنطيون، العرب، الترك، الفرنسيون".**[1]

ويبرر هذا التقسيم كون استخدام كلمة المقاومة يدلّ على وجود احتلال، وفي نفس الوقت على وجود وتجذّر النظام السياسي المجسّد في المقاومة ويقول في موضع آخر أنّ الدول في الجزائر بعد الفتوحات قامت على دعامتين وهما: العصبية المحلية (القبيلة) والعقيدة المجسّدة في الأمير والإمام، ويضفي الطابع الوطني على الحاكم الأجنبي إذا كانت عقيدته إسلامية.

6. نقد التاريخ عند زوهير احدادن، رؤى وقناعات:

يقول غوستاف لوبونGustave Le Bon: "لا يوجد غير عدد قليل جدا من ذوي النفوس النفاذة بعض الشيء من يستطيع أن يفسّر الوقائع أي أن يميّز

[1] - غوستاف لوبون: المرجع السابق، ص57.

الأفكار تحت الكلمات والمشاعر تحت النصوص وأن يفرّق بين العوامل الحقيقية للحوادث التي يقصها كثير من المؤلفين من غير أن يدركوها[1]".

عندما تقرأ لزوهير إحدادن تشعر أنّك أمام سيل من نقد بنّاء لا ينضب هدفه تقويض الإيديولوجية الاستعمارية[2]، القائمة على جبل من الحقد والتحامل والتشويه والتحريف والتزوير وهناك من المؤرخين الجزائريين من أبحر مع تيارها دون وعي بمخاطر تبني أطروحات المدرسة الاستعمارية.

يقدم الباحث الجزائري مراجعات عميقة لتاريخ الجزائر تتعلق ب:

6. 1. التاريخ الحضاري للجزائر

يدحض زوهير إحدادن فكرة أنّ تاريخ الجزائري يبدأ من العهد القرطاجي، بل هو أعمق من ذلك فالمؤرخين الأجانب وعلى رأسهم الرومان أهملوا حوالي 50 قرنا من تاريخ الجزائر الحضاري، متعمدين ذلك وأرّخوا لتاريخنا الوطني وربطوه بتاريخ روما من باب ذكر انتصارات وأمجاد الامبراطورية الرومانية، واختزلوا التاريخ الوطني في ثلاث قرون من نير الرومان والوندال والبيزنطيين[3]، أما بقيّة 47 قرن فتمتّعت الجزائر بالحريّة والاستقلال ولأوّل مرّة يوضح أنّ الرومان والبيزنطيين الذين احتلوا شمال إفريقيا لم يتمكنوا من إخضاع كلّ سكانه بالقوّة، ظلّت فيه وحدات سياسية قائمة كإمارة مغراوة التي امتدت من شلف حتى حدود تلمسان ومن تنس

1- هناك اختلاف كبير في تحديد مفهوم الايديولوجيا، فالأيديولوجيا مشكّلة لغويا من كلمتين لاتينيتين idéo وlogie وتعني علم الأفكار ويعود نحت هذا المصطلح الى المفكر الفرسي دستوت دي تراسي Destutt de tracy 1817م. ينظر ابراهيم مياسي: مقاربات في تاريخ الجزائر 18301962م، ط3، 2016م، دار هومه، الجزائر، ص1.

2- زوهير إحدادن: شخصيات ومواقف تاريخية: المرجع السابق، ص ص16، 17.

3- نفسه، ص20.

شمالا إلى هضاب سعيدة، وكان مقرّ حكومتها بين تيسمسيلت وفرندة [1].وينفي أيضا الفكرة السائدة أنّ الاستعمار الفرنسي كان كاملا وشاملا زمنيا ومكانيا، حيث يكشف أن بعد 1830 تشكلت دول كدولة أحمد باي في الشرق ودولة الأمير عبد القادر في الغرب.

ما تحدث عنه المؤرخ إحدادن يبرز فكرة أساسية وهي النهج الاستعماري الطامح لهدم كل ما يشير إلى كيان سياسي أو أمّة واحدة عبر التاريخ، فقد تجاهلت الادارة الاستعمارية في تعليم أبنائنا تاريخ الجزائر والفتوحات الإسلامية مع التركيز على الفترة الرومانية لتقفز بعد ذلك مهملة كل الفترات التاريخية التي شهدتها الجزائر لتصل الى تمجيد الغزو الاستعماري والرسالة الحضارية لفرنسا وأوروبا [2].

وقد سبق إحدادن بعض كتاب الغرب إلى نقد الأسطوغرافيا الغربية التي أطنبت في جهل وتغييب تاريخ العرب والمسلمين كأمثال غوستاف لوبون الّذي يقول في كتابه "حضارة العرب": **" وفي تاريخ العرب إذا مسائل كثيرة تتطلب حلا وفيه دروس وعبر جديرة بالحفظ والعرب عنوان أمم الشرق التي تختلف عن أمم الغرب لا تزال أوروبا جاهلة لشأنهم فالتعلم كيف تعرفهم فالسآعة التي ترتبط مقاديرهم قد اقتربت"**[3].

1- عبد القادر حلوش: أهمية التاريخ والجغرافية في البرامج التعليمية الفرنسية بالجزائر، مجلة رؤية، ع1، ماي 1996، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، ص17.

2- غوستاف لوبون: حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2014، ص32.

3-صالح بلحاج: تاريخ الثورة الجزائرية د.ط، دار الكتاب للحديث، 2010، صَص 619/618.

2.6. إشكاليات تاريخية متعلقة بالثورة:

يتعمّق المؤرّخ إحدادن في تفاصيل الأحداث والتطورات التي عرفتها الجزائر ما بين 1954 و1962م، نجده يعالج مسألة الزّعامة بأسلوبه الخاص الذي يشكّل قاعدة قيادة الثورة الجزائرية، لكون أنّ الثورة عانت من صراعات بين أعضاء قيّادة الثورة فيما بينها، واعتبرت هاجس حقيقي وخطر محدق لولا التعقل والحكمة وضبط النفس[1] ويعتبرها البعض ممن كتبوا عنها حجرة عثرة في طريق الثورة، إلا أنّ زوهير إحدادن يعتبرها خاصية جوهرية اتفق عليها منذ بداية الثورة ويحيل الغموض والإلتباس الحاصل في العديد من قضايا الثورة كالتمرّدات والاغتيالات إلى عامل الزعامة الذي كان مسيطر على البعض، إلا أنّ حكمة وذكاء قيادة الثورة أدّت إلى تجنب المآلات الخطيرة و إنجاح المشروع الثوري إلى غاية الاستقلال1962م.

فهو لا يحمّل مسؤوليات شخصية فيما يخصّ التمرّدات والاغتيالات، فاغتيال عبان رمضان سنة 1957م، كان نتيجة الانحراف عن قاعدة القيادة الجماعية ومحاولة تزعّم الثورة، ، واعتبارها مبدأ أساس التزم به مفجرو الثورة التحريرية وهناك من يرى خلاف ذلك كالدكتور صالح بلحاج الذي اعتبر أنّ القيادة الجماعية لم تطبق إلّا في مراحل تحضير الثورة فقط.

1 - محمد شبوب: صفحات من مسار الثورة التحريرية، اجتماع العقداء العشر نموذجا، مجلة عصور، مجلد11، العدد2، 15، ديسمبر2012، ص391.

ما حدث بعد انفجار الثورة التحريرية كان يعكس تمركزا واضحا للسّلطة والقيادة في يد فرد أو مجموعة من الأفراد، ويقول في ذلك: **" أن مبدأ القيادة الجماعية** ورغم **عدم تطبيقه قام بدور إيجابي إذ أنّ وجوده في ذاته كمبدأ حال دون ظهور زعيم للصورة "**[1] ونعطي مثال آخر عن المحاولات الإنفرادية لبعض قيادات الثورة الخروج عن هذه القيادة، كمحاولة صالح زعموم على مستوى قيادة الولاية الرابعة سنة 1960 الاتصال بديغول والدخول معه في مفاوضات حول مستقبل الثورة، لكن قيادة الثورة نفذت فيه مع بقية القادة حكم الاعدام [2].وهذا الرأي يؤكده ويعضده ما ذهب اليه الدكتور ابراهيم لونيسي.

1 -زوهير احدادن: المختصر في تاريخ الثورة الجزائرية، المرجع السابق، ص72.

2- مجموعة باحثين: المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004، ص561.

استنتاج:

نخلص في نهاية دراستنا إلى أن:

- شخصية زوهير احدادن تعبّر عن مرحلة ابستمولوجية ولاّدة يجب استغلالها لمَنهجَة تاريخنا الوطني وأَشكَلَةُ ما تسطّح من معارف.
- الانطلاق من النموذج الإحدادني، في تدوين المعرفة التاريخية وتجاوز الخطاب التقليدي المسيّس والمُؤدلج.
- الرجوع إلى المنهج الخلدوني اليوم وبإلحاح للاستفادة من المناهج والأليات التي وظّفها بن خلدون في تحويل الظواهر والأحداث الى حقائق تاريخية والابتعاد عن المعرف الجاهزة.
- إعادة استنطاق الوثائق التاريخية، انطلاقا مما كتبه زوهير إحدادن بروح تاريخية علمية ومنهجية، ونقدية.
- لا ضير من الاستفادة من كل مناهج العلوم الإنسانية والاجتماعية لخدمة البحث التاريخي خاصة مع تطور المدارس والمناهج البحثية مع تطور التكنولوجي.

يعد زوهير إحدادن لحظة وعي تاريخي في تاريخ الأمة الجزائرية أنارت طريق بحوثنا العلمية، والعبرة هي انتاج نماذج من عقول علمية تتبنى أفكاره وأطروحاته لتكون إرهاصات لمرحلة جديدة ميّزتها الجدية، والصرامة المنهجية، والحرية والاستقلالية بعيدا عن الممارسات الكلاسيكية في الكتابة التاريخية.

المصادر والمراجع:

1 ابن خلدون عبد الرحمان: **المقدمة**، د.ت، بيروت د.ت.

2ابن خلدون عبد الرحمان: **الرحلة**، منشوراتلي بيضون دار الكتب العلمية، بيروت، ط، 2004.

3. احدادن زوهير: **شخصيات ومواقف تاريخية**، منشورات دحلب، حيدرة، الجزائر، 2012.

4. **المختصر في تاريخ الثورة الجزائرية**، ط1، مؤسسة احددن للنشر والتوزيع، القبة 2007.

5. بلحاج صالح: **تاريخ الثورة الجزائريةد**.ط، دار الكتاب للحديث، 2010.

6. بن نبي مالك: **العفن** ترجمة نورالدين خندودي، تقديم أحمد بن نعمان، ج1، ط1، دار الأمة، برج الكيفان 2007.

7. بيير روسي: **التاريخ الحقيقي للعرب**، ترجمة فريد جحا، ط3، دارر البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، 2004، دمشق.

8. جمال عبد الهادي محمد مسعود وفاء محمد رفعت جمعة، **أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ، منهج كتابة التاريخ الإسلامي**، ط3، الوفاء للطباعة والنشر، 1994.

9.لعوج نصرالدين: رؤية الإعلامي زوهير احدادن لتجربة جريدة المجاهد في إعلام الثورة الجزائرية 19561962م، ديسمبر22021.المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، مجلد8، العدد2

10.لوبون غوستاف: **حضارة العرب**، ترجمةعادل زعيتر، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2014،

11. مياسي ابراهيم: **مقاربات في تاريخ الجزائر 18301962**م، ط3، 2016م، دارهومه، الجزائر.

12.**المعجم الوسيط** ط4، مكتبة الشروق الدولية.

13.شبوب محمد: صفحات من مسار الثورة التحريرية، اجتماع العقداء العشرنموذجا، مجلة عصور، مجلد11، العدد2، 15، ديسمبر2012

14.حلوش عبد القادر: أهمية التاريخ والجغرافيةفي البرامج التعليمية الفرنسية بالجزائر، ***مجلة*** رؤية، ع1، ماي 1996، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر.

15.يزبك قاسم: **التاريخ ومنهج البحث التاريخي**، ط1، ، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1990..

16.العلوي محمد الطيب: **مظاهر القاومة الجزائرية 18301954**مط2، منشوات وزارة المجاهدين الأبيار، الجزائر.

17.غالم محمد: المؤرخون الجزائريون والمرجعية الخلدونية، *انسانيات*، عددمزدوج، 6566، ديسمبر، 2016.

18.ولـد خليفـة محمـد العربـي: المفهـوم والمصـطلح نحـو قواعـدللمعطيات المفهوميـة، *مجلة* مجمـع اللغـة العربية، مج79، ج3.

19.حصة خاصة في قناة دزاير نيوز، حول زوهير احدادن

http: //www.dzairtv.com20.م2018جانفي 22 ،

https: //www.elhiwardz.com/national/110523/21

إسهامات الحركة الطلابية الجزائرية في الثورة التحريرية ما بين 19541962م سياسيا عسكريا، ثقافيا

1. مفهوم الحركة الطلابية.
2. ميلاد الحركة الطلابية.
3. بيان أول نوفمبر والدعوة لتعبئة الشعب.
4. الدور الطلابي في الثورة التحريرية.

استنتاج.

المصادر والمراجع.

توطئة:

يعد المخاض العسير والمسار الطويل للثورة التحريرية حصيلة تراكمات سياسية وثقافية واقتصادية واجتماعية ميّزت الحركة الوطنية في الجزائر منذ 1830م، هذه الحركة ساهم فيها وأطّرها مجموعة من الفاعلين داخل المجتمع الجزائري وبكل فئاته وأطيافه وأحزابه وجمعياته وتنظيماته اقتطفت ثمارها في نوفمبر1954.

والحصيلة النهائية لتلك الحركة الطويلة والشاقة التي مّربها الجزائريون طوال قرن وخمس وعشرين سنة لم تثني إرادة الشباب النوفمبري وحماسته و إيمانه سليل قادة المقاومة الشعبية، والذين تعلّموا من أخطاء التاريخ مسطرين بكل حكمة ووعي استراتيجية شاملة للتخلّص من الاستعمار الفرنسي، وكانت انطلاقة الثورة ومسيرتها التحريرية يعتمد على خزّان شبابي لا ينضب والمتمثل في الطلبة المتمدرسين في الثانويات والجامعات في الجزائر وفي المغرب والمشرق العربين وفي فرنسا، وبذلك شكّل الطلبة وتنظيماتهم المختلفة من حيث الإيديولوجيات والأفكار والمشارب مصدر تعبوي استراتيجي للثورة التحريرية.

فيم تتمثل تلك الحركات والتنظيمات الطلابية ؟ ماهي الأدوار التي أداها الطلبة في الحركة الثورية الجديدة منذ 1954؟ وكيف أثّروا في الثورة على كافة الصعد والمستويات؟

1. مفهوم الحركة الطلابية:

يطلق لفظ الطالب على الشخص الذي يزاول الدراسة سواء في المدرسة النظامية أو الكتاتيب القرآنية أو الزوايا ونحوها وعادة ما تقترن كلمة الطلبة بصفة الحركة والمسؤولية والفضيلة وغيرها من الصفات الحميدة وعليه:

1. 1. الطالب لغة:

- طَلَبَه طَلَبًا: همّ بتحصيله أو التمسه وأراده[1]

- أَطلَبَ، طَلَبًا: تباعد ليُطلَبَ[2] ويقال أَطلَبَ فلانا الشيء[3]

- الطَالِبُ: الّذي يطلب العلم ويطلق عرفا على التلميذ في مرحتي التعليم الثانوية والعالية والجمع طُلَّاب وطَلَبَة، والطَلَبَ، المَطلُوب: في الاقتصاد تعني الكمية التي يشتريها الأفراد من سلعة معينة بثمن ما[4].

- ويقال الطُلبَة السفرة البعيدة.

- طلابي اسم منسوب إلى طلاب على غير قياس خاص بالطلاب[5].

- والمطلب، والطلب: هو المقصد والمبحث[6].

1-. مجموعة باحثين: المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية

2- نفسه.

4- نفسه.

4- بكر بن عبد الله بوزيد: حلية طالب العلم، ط1، مؤسسة الرسالة، 2002، بيروت ص05

5- احمد مختارعمر وأخرين: معجم اللغة العربية المعاصرة، مج1، ط1، عالم الكتاب، القاهرة، 2008، ص1402

6- أحمد علي سعد: الطلاب وانسان المستقبل"، ط1، دار الرائد العربي، بيروت، 1971، ص34

1. 2. اصطلاحا:

فقد عرف البعض الطلاب بقولهم:

فالطلاب كلمة مربعة المعاني فيها الإيجاد والتملك والبطولة فالإبداع وقوة الإنسانية تكمن في قلب كل طالب وطالبة، وتحب الانفلات من مرقدها الخفي لتصبح فعلا حقيقيا يمشي ويتحرك في كل اتجاه ويزرع بذور العطاء وهذا الإبداع صفة من صفات الطلاب... لكن فعل الإبداع أولا والرقي ثانيا لا يسعهم غير بطل مغامر لا يهاب ماضيا ومستقبلا، فالبطولة صفة ثالثة تلزم الطلاب وفعلها مبدعا ومسؤولا ولا بد من صفة رابعة وهي الإبطال بمعنى الإلغاء والتحويل والتغير[1].

وعند تحليل هذا القول نجده يتوافق مع معايير الجامعة اليوم في وقتنا، هذه الأخيرة التي تعتبر نواة ومصدر تلقين الطّالب كل العلوم والمعارف لتؤهله لقيّادة دور معين داخل المجتمع والجزائري، خلال الفترة الكولونيالية كان في أشدّ الحاجة لنخبته المثقفة والمتعلمة، وهذا ما وعاه طلبة الجزائر في مختلف المدارس والمعاهد والجامعات في الداخل والخارج مندفعين بروح الوطنية والمسؤولية؛ ليكونوا فاعلين في عمليات التحرر والبناء فلجؤوا إلى تنظيم أنفسهم داخل جمعيات وتنظيمات واتحادات إيمانا بمفعول وتأثير العمل النقابي المطلبي والجماعي.

لا تكون نهضة أيّ أمّة من الأمم ورفعتها وسُموها ودوام حضارتها إلّا بشرط العلم الذي يمثل مطلب حيوي وأساسي وحاجة ملحة للبشرية جمعاء حتى

1- أبي عبد الله محمد بن سعيد بن رسلان: آداب طالب العلم، ط1، دار بن حزم، بيروت، 1993، ص13

يحصل لها التمكين والاستمرار وتملك أسباب التطور والقوّة والأمّة التي لا تأخذ بناصية العلم والمعرفة تكون قد دفنت نفسها في مقابر التخلّف والجهل والأميّة. للتخلّص من قوقعة التخلّف والوصول إلى ما وصلت إليه الأمم المتطورة لا بد من طلب وتحصيل العلم ومسايرة ذلك بالتكيف والتعاطي مع الثورة التكنولوجية والرقمية، وهذا يكون عن طريق تحسين أداء الجامعة وترقية مستوى الطالب بما يفعّل ميدان البحث العلمي. وقبل الغوص في الموضوع علينا الإشارة إلى البعدين: اللغوي والاصطلاحي لمفهوم الطالب:

يعد الطالب الجامعي في الجزائر اليوم رأسمال رمزي ومورد بشري والتطور الرهيب حتّم علينا السير وفق قواعد السوق العالمية التي أدّت إلى التغيير في منظومة التعليم والبحث العلمي في بلادنا.

إنّ طالب العلم أحد افراد الكتائب الشبابية الطموحة والراغبة في الغوص في بحر العلم ويعد نواة مباركة تستلزم أن يحاط بها بالسقي والعناية في نموها ومسارها، ولطالب العلم مرتبة سامية في المجتمع لأنّه يشكل مورد بشري تستفيد منه الأمة في حياتها فيخدمها وليس كل من وصل للجامعة اتصف بصفات طالب العلم فهناك الغث والسمين، وعلى طالب العلم في الجامعة أن يتحلّى بالصفات الحميدة والتي تُظهر آدابه وليست آدابا كأيّ آداب، فهي واجبة على الطالب وغيره[1].

1 - أوراغي احمد: الأنثروبولوجيا والاستعمار، قراءة في صورة الجزائر في المؤلفات الأنثروبولوجية والاستعمارية، مقال، جامعة تلمسان، ص8.

2. ميلاد الحركة الطلابية:

يحيلنا الحديث عن الحركة الطلابية ودورها في النضال إلى ارهاصات بدايات تشكلها وتبلورها فرغم معاول الهدم والتدمير التي طالت هوية وقيم ومبادئ الشعب الجزائري، بما في ذلك مؤسساته التعليمية والثقافية منذ اللحظة الأولى التي اعتدى فيها الفرنسيون على الجزائر والتي كان يرون فيها أرضا تركية صالحة للاغتصاب[1].

إلّا أنّ ردود فعل الجزائريين تجاه سياسات التدمير والتخريب كانت تقف حاجزا مانعا أمام تحقيقها والتعبير عن رفض الجزائريين للإستدمار الفرنسي كان بمقاومته بشتى الطرق والوسائل السياسية[2] والعسكرية والفكرية، وهناك من فضّل الهجرة الى المشرق والمغرب العربيين أو إلى فرنسا وهذا لأسباب دينية وسياسة واقتصادية[3]وعاشوا هناك ودرسوا وساهموا فيما بعد في تحرير الجزائر.

وفي سياق تثبيت أطروحة المهمة الحضارية لفرنسا[4] راحت السلطات الفرنسية تبني المدارس وتنشر اللّغة الفرنسية في أوساط الجزائريين، إلاّ أنّ التعليم كان محدودا ومشروطا وحكرا على بعض أبناء الأعيان وجوبه بالرفض من قبل

---

[1] -Saddek Benkada, la revendication des libertés publique dans la discours politique du nationalisme algérien et de l'anti colonialisme française 1954/1919 ،***Insaniyat***،n25،decembre 2004،p80

[2] - عمار هلال: **الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام 1847 1918م**، د.ط، دار هومه، الجزائر، 2007، ص13.

[3]Toril Myring: **le syseme scolaire en A lgerie**: l'école primaire ،une institution assimilatrice ،mimoire de master، Université d'oslo ،institutde littératur، civilisation etlangue européenes،2013،p8

[4] - شارل أندري جوليان: **تاريخ الجزائر المعاصرة"**، ترجمة علي عصفور، ط1، منشورات عويدات، بيروت، 1972، ص66.

المستوطنين"...وكانوا يرون فيه بوجه خاص مظهرا خطرا من مظاهر المحبة للعرب"[1].

إن أخطر ما تبتلى به أيّ أمّة هو الجهل والأمية والجزائر ابتليت بتلك المحاولات الفرنسية للقضاء على شخصيتها العربية الإسلامية، لكن بالموازاة شهدت الأمّة الجزائرية بروز ثلّة من العلماء والمفكرين الذين قادوا حركة التعليم والإصلاح مع بدايات ثلاثينيات القرن 20م تقودها جمعية العلماء المسلمين التي تأسست سنة 1931م[2].

في خضم هذا تعددت مشارب ومصادر تعلّم الجزائريين فهناك من تعلّم في الجزائر سواء في مدارس وجامعات فرنسية وهناك من تعلّم في مدارس عربية حرة، وهناك من درس في الخارج سواء في المشرق أو المغرب، وهناك من فضّل الوجهة الفرنسية فتربّى هناك ودرس وتأثّر بالثقافة الفرنسية مع هذا التعدد والاختلاف في المؤسسات التعليمية، التي قصدها الجزائريون نشأ جيل من الطلبة كل بطريقته ووسيلته وايديولوجيته وبرؤيته ناضل لأجل القضية الوطنية، وكان لنهاية الحرب العالمية الأولى 1919م تأثيرا واضحا على ظهور التنظيمات الطلابية في الجزائر وفي الخارج في وقت كان العالم الإسلامي في حالة يقظة خلال العشرينات من القرن 19م نجد:

---

[1] - بشير بلاح: تاريخ الجزائر المعاصر(**1830**الى 1989م، ج1، د.ط، دار المعرفة، ص319.

[2] -Guy Pervillé"، les etudiants algeriens، de l'université française 1880_1962" ،France، 1982 ،1984 ،p57.

Op.cite.p57

- الحركة الطلابية الفرنسية التي ضمت جزائريين إلى صفوفها والتي تأسست سنة 1877م[1].
- الاتحاد الوطني للطلبة للجمعيات الطلابية بفرنسا تشكل سنة 1907، تغيّر اسمه فيما بعد إلى الاتحاد الوطني لطلبة بفرنسا (UNEF) والذي ضم اليه طلبة جزائريين.
- الجمعية الودادية للتلاميذ المسلمين في شمال افريقيا1918.
- جمعية الطلبة المسلمين لشمال افريقيا 1927م التي جمعت الجزائريين والتونسيين والمغربيين وتعد نهاية العشرينات وبداية الثلاثينات من القرن 20 الظرف الذي تبلورت فيه أفكار الحركة الوطنية وبدأت تتأسس فيه الأحزاب مقابل التهديدات الفرنسية التي كانت تتربص بها[2].
- تأسيس جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين 20 جويلية 1934[3].
- رابطة الطلبة الجزائريين بالمشرق حيث أسّس طلبة الجزائر بمصر سوريا والعراق والكويت روابط طلابية بعد اندلاع الثورة بداية من سنة 1956م، ليتم دمجها في رابطة واحدة سنة 1958م تحت الإسم السابق الذكر لينظَموا فيما بعد للاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين 1959م، وعن الإتحاد يقول الأمين خان:

1- أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية1900 1930، ج2، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992 ص304.

2- حمد بن ابي زيد الأغواطي: جمعية الطلبة الجزائريين بتونس، البصائر، ع44، 20 نوفمبر 1936.

3- مجموعة من الأساتذة: دور الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين في الدفاع عن القيم وتأطير الدولة الجزائرية الفتية، سلسلة منشورات الجيب، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2005، ص11.

"وفي جويلية من نفس السنة 1955 التقينا وأسسنا الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين"[1].

هكذا تأسّست الروابط والتنظيمات والجمعيات الطلابية سواء في داخل الجزائر أو خارجها مدافعة عن حقوق الطالب المادية، الدراسية، وعن هوية الجزائر واستقلالها، رغم محاولات تقييدها وتهميشها من طرف السلطات الفرنسية إلّا أنّها اثبتت وجودها على الساحة الوطنية والدولية على غرار التنظيمات السياسية والدينية والنقابية، ومع انطلاق الثورة التحررية شكّلت التنظيمات الطلابية معين لا ينضب من الإطارات الشابة التي دعمت الجبهة والجيش في آن واحد بمجرد سماعهم لبيان أول نوفمبر 1954.

3. بيان أول نوفمبر والدعوة لتعبئة الشعب

يعد بيان أوّل نوفمبر1954أوّل وثيقة سياسية للثورة التحريرية حدد استراتيجية واضحة المعالم وبالمختصر المفيد عند قراءته نجده يبدأ بدعوة صريحة للشعب والمناضلين للالتحاق بالثورة ثم تدرّج في شرح الظروف وتبيان الوسائل والأهداف من أجل الانتصار على القوة الفرنسية الإمبريالية وكافة مسانديها من الداخل والخارج مستلهما أفكاره وطروحاته من قيّم ومبادئ ونضالات الشعب الجزائري ليكون بذلك أنبل وأقدس[2]وثيقة تخاطب العقل والوجدان وخارطة طريقة من أجل غاية كبرى هي الاستقلال.

1- حميداني سليم: بيان أول نوفمبر 1954، قراءة سياسية، تحليلية، ادراكية، الملتقى الدولي، الثورة التحريرية الكبرى، دراسة قانونية وسياسية، يومي 2 و3 ماي، 2012م، جامعة 08 ماي 1945، قالمة، ص44.

2- عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962 م، ط1، دار الغرب الجزائري، 1997، ص383.

تظهر إستراتيجية الثورة في تسمية الحركة الوطنية الجديدة باسم جبهة التحرير الوطني ومصطلح الجبهة يدلّ على فتح باب الانخراط أمام كل الجزائريين دون استثناء[1]، وقد أثار البيان الجدل والنقاش ومازال لحد اللحظة يدور عن محتواه ودلالته وأهميته، إلا أنّ كل هذا لا يهمنا هنا والقارئ لهذا الخطاب الجبهوي التحرري يلفت انتباهه تلك الثنائية المتناغمة التي وُجِهَ لها النداء المتمثلة في: المناضلين والشعب.

يعتبر 1 نوفمبر1954: يوم مشهود في تاريخ الجزائر المناضلة العصية على الأعداء والغزاة، طالما تميز شعبها ب:

- الصبر.
- قوة الشكيمة.
- الوطنية.
- العزيمة والإصرار.
- قوة الإيمان.

تجسدت هذه الشخصية في وثيقة أول نوفمبر 1954 مضمونها تطرق إلى:

- دعوة الشعب والمناضلين للالتحاق بالثورة.
- **شرح أسباب وظروف الثورة:** (الداخلية والخارجية).

2- أحمد عصماني: دور الرياضيين الجزائريين المهاجرين بفرنسا في الثورة التحريرية، مجلة الدراسات التاريخية ع13، جامعة الجزائر 2، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، 2011، ص209.

- تحديد وسائل الثورة: (داخليا عن طريق العمل المسلح، وخارجيا عن طريق الدبلوماسية).
- **توضيح أهداف الثورة:** الاستقلال، بناء جمهورية جزائرية في إطار المبادئ الاسلامية، ووحدة شمال افريقيا.
- ترك الباب مفتوح للتفاوض مع فرنسا.

مما يجعل منهما أرضية رهان لا مناص من الاستغناء عنها لخوض هذا العمل الشاق ومما جاء في البيان: **"أيّها الجزائريون إننا ندعوكم لتأمل ميثاقنا إنّ جبهة التحرير هي جبهتكم وانتصارها هو انتصاركم وأنّ واجبكم هو أن تنظموا إليها..."**[1].وكان من الطبيعي أن يلبي الشعب الجزائري بمختلف فئاته وشرائحه النداء الذي وضّح لهم طريق التحرر من نير الاستبداد الفرنسي. وقد ورد في البيان نفسه**" أنّ هذه مهمة شاقة وثقيلة وتتطلب تجنيد كل القوى وتعبئة كل الموارد الوطنية.."**[2].

تحرّكت مشاعر الغيرة الوطنية في طلبة الثانويات والجامعات في الداخل والخارج وفضّلوا حمل السّلاح على حمل القلم وتجنيد الطلبة دليل على تفتح جبهة التحرير الوطني على كل القوى والطاقات الوطنية.

1- أحمد عصماني المرجع السابق، ص110.

2- مقتطف من بيان أول نوفمبر. ينظر. عمورة عمار: موجز في تاريخ الجزائر، ط1، دار ريحانة، الجزائر، 2002، ص190.

4. الدور الطلابي في الثورة التحريرية:

استجاب الطلبة الجزائريون لنداء جبهة التحرير الوطني في مهمتها الشاقة والطويلة التي تتطلب "تجنيد وحشد كلّ الإمكانيات[1]، ولو أنّ الاستجابة كانت محدودة وجزئية وضعيفة بمختلف تنظيماتهم وأخذت مشاركتهم أشكالا مختلفة من بينها:

العمل الدعائي الذي كان يسعى الطلبة الجزائريون في الخارج إلى إثبات عدالة القضية الوطنية وتصوير حقيقتها للرأي العام العالمي وتكذيب ادعاءات العدو الفرنسي من أنّ مسألة الجزائر شأن داخلي، وذلك عن طريق عقد اللقاءات والندوات *والمحاضرات التي كانت تنظّم أسبوعيا خاصة في السنوات الأخيرة من الثورة للتعريف بالثورة وبأهدافها وكانت لهم اتصالات ومراسلات مع التنظيمات الطلابية العربية الأوروبية والعالمية.

كان لنشاطاتهم صدى كبير تجلّى في المظاهرات الطلابية للطلبة العرب والفرنسيين وتقديم مذكرات للاتحادات الطلابية في البلدان الأعضاء في الناتو، حتّى تتوقف دولهم عن تقديم الدعم اللوجستيكي لفرنسا ضدّ الجزائر والتنديد بالحكومات التي تساعد فرنسا[2]في عدوانها، إلّا أنّ الطلبة الجزائريين جوبهوا

---

*نذكر أمثلة عن تلك اللقاءات والنشاطات في الخارج التي قام بها الطلبة الجزائريون فقد سعى UGMA الى أحداث صدى عالمي للقضية الجزائرية من خلال مشاركة أعضائه في الندوة الأفرو أسياوية ببناندونغ 30 ماي 7 جوان1956م، والمشاركة في المؤتمر الدولي الثامن بالبيرو في 25 /1959/02م، والمشاركة في مؤتمر براغ 26 أوت و02 سبتمبر 1962.ينظر عمار قليل، ص368و عمر بوضربة: **تطور النشاط الدبلوماسي للثورة الجزائرية 1954 1960**، د.ط، دار الرشاد للنشر، الجزائر، د.ت، ص265.

2- وزارة المجاهدين: إلى الطلاب العرب"، جريدة المجاهد، ج3، ع79، 10 أكتوبر 1960، ص190

بالمضايقات والاعتقالات البوليسية في فرنسا ولم ييأسوا من إقناع الطلبة الفرنسيين بعدالة وشرعية القضية الجزائرية. كما شكّلوا مصدر خوف للسلطات الفرنسية نظرا للدور الكبير الذي قاموا به بالتعريف بالقضية الجزائرية[1].

تكتّل الطلبة الجزائريين في اتحادات وروابط فمثلا كان الطلبة الجزائريون في المشرق يبحثون عن سبل لتعبئتهم والتفافهم حول الثورة الجزائرية، ولتحقيق ذلك أسّسوا في سوريا لجنة الطلبة الجزائريين وفي مصر أسّس الطلبة الجزائريون لجنة تحضيرية لرابطة طلابية في مصر بتاريخ 14 أوت 1956م، كما تأسّست بالعراق والكويت رابطات للطلاب الجزائريين[2] لتتوحّد فيما بعد سنة 1958 تحت إسم رابطة الطلاب الجزائريين في المشرق العربي بدعم من جبهة التحرير الوطني[3]؛وكانت الدوافع من وراء تأسيسها تتمثل في الدفاع عن حقوقهم المادية والمعنوية ودعم الثورة التحريرية، كما أنّها تلقت الدّعم والمساندة من طرف التنظيمات والأحزاب في بلاد المشرق وبمجرد اندلاع الثورة حرّروا بيانا نشر في صوت العرب يعلنون تأييدهم للكفاح المسلح.

الالتحام بالثورة وتحملهم لمسؤوليات التوعية السياسية والتجنيد والدور السياسي والعسكري فأغلب المحافظين السياسيين في جيش التحرير كانوا من الطلبة.

1- صباح نوري هادي، حنان طلال جاسم: تنظيمات العمال والطلبة المهاجرين الجزائريين ودورهم في المقاومة الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي، مجلة ديالى، ع52، كلية التربية الاساسية، جامعة ديالى، 2011، ص17.

2- خلوفي بغداد، نشاط الطلبة الجزائريين بالمشرق العربي اثناء الثورة التحريرية، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، ع35، 08 ديسمبر 2014 م، ص03.

3-نفس المرجع، ص09.

أدّت الإطارات الطلابية دورا متميّزا على المستوى الإعلامي فالعديد من الوجوه الإعلامية نشطت في التلفزيونات وفي الصحافة المكتوبة والإذاعات كعيسى مسعودي، عبد القادر بن قاسي رابح تركي، محمد مهري وغيرهم كلفوا بإيصال صوت الجزائر المناضلة للعرب شعوبا وحكاما وأحزابا.[1]

النشاط السياسي المكثف للطلبة الجزائريين في المغرب وتونس مثل قيام الطلبة في تونس بحمل العلم الوطني في مظاهرات عدة وعقد ندوات للتعريف بالقضية الجزائرية[2]، ونفس الشيء قام به الطلبة الجزائريون في المغرب الأقصى الذين درسوا في جامع القرويين وقد عزّزوا علاقتهم مع الأحزاب السياسية ومن خلالها أصدروا جريدة خاصة تحتوي على نشاطاتهم السياسية نحو قضيتهم الوطنية.

إضافة للنشاط السياسي الذي قام به هؤلاء الطلبة في المغرب وتونس هناك عدة نشاطات ثقافية فكرية اثناء الثورة التحريرية، من خلا إصدار جرائد حائطية ومجلات ونشرات ثقافية و إعلامية و إلقاء المحاضرات والمشاركة بكتابة الشعر والنثر، كما ساهموا في تحرير لسان جبهة التحرير الوطني جريدة لمجاهد[3].

تأسيس الاتحاد العام لطلبة المسلمين الجزائريين في جويلية 1955، ويعبّر تأسيسه عن توحد الطلبة والالتحاق الجماعي بالثورة، خاصة الطلبة الدارسين بالثانويات والجامعات الفرنسية ومن أهم أدواره الأساسية:

1- مجموعة من الأساتذة: دور الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين في الدفاع عن القيم وتأطير الدولة الجزائرية الفتية، المرجع السابق ص09.

2- أبو القاسم سعدالله: تاريخ الجزائر الثقافي (1954 1962، ج9، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص ص 277/ 278

3- أبو القاسم سعد الله: نفس المرجع، نفس الصفحة.

تدويل القضية الجزائرية وتحقيق وحدة شمال إفريقيا والتعاطف والتضامن مع الأمم التي تؤكّد كفاح الشعب الجزائري التحرري. كما كانت للاتحاد روابط وعلاقات مع الاتحادات الطلابية العربية والعالمية[1]، وتأسّس بإيعاز من جبهة التحرير الوطني، وقال الطلبة بصفة عامة والاتحاد العام للطلبة المسلمين بصفة خاصة كلمتهم في إضراب19 ماي 1956م، بداية من هذا اليوم امتنعوا عن الدراسة وعن اجتياز الامتحانات[2] في جامعة الجزائر وجميع الثانويات وفي الجامعات الفرنسية لتبدأ عمليات الالتحاق بالثورة، هذا حتى يؤكّد الطلبة لفرنسا أنّ من تسميهم فلاقه ومتمردين وخارجين عن القانون يحضون بثقة الشعب الجزائري. وهناك أضرابات شارك فيها الطلبة كإضراب 20 جانفي 1956م قاطعوا فيه الدراسة ليوم واحد، كانت إنذارا وجهته قيادة جبهة التحرير الوطني للسّلطة الاستعمارية، و إضراب 19 ماي 1956م الذي قرر فيه الاتحاد العام للطلبة الجزائريين التوقف عن الدراسة.

وعليه فقد وفّر هذا الإضراب فرصة لدخول الطلبة في العمل الثوري والالتحام بالجبهة والجيش واستفادة مؤسسات الثورة من إطارات شابة في الداخل وحتّى في فرنسا أين التحقوا عن طريق فيديرالية جبهة التحرير الفرنسي.

انخراط الطلبة في النشاط الثوري ميدانيا وبشكل مباشر، فتونس والمغرب شكلتا قاعدتين مهمتين لتزويد الجزائر بقيادات ثورية شابة من الطلبة

1- محمد السعيد عقي: "الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين والمنظمات العالمية للطبة (19551962م)، مجلة البحوث والدراسات، ع4، يناير 2007، ص122.

2- أحمد بومالي: أدوات التجنيد والتعبئة الجماهيرية أثناء الثورة التحريرية الجزائرية، (1954 1956) د.ط، دار المعرفة، الجزائر، 2010، ص467.

فعبد الكريم الخطابي كان يتولى التدريب العسكري للكثير من الطلاب الجزائريين قبل التحاقهم بالجزائر[1]، إضافة الى إلتحاق الطلبة الجزائريين بالمشرق الذين كانوا في الموعد مع بداية أول نوفمبر1954م انظموا للتدريبات العسكرية في المدارس العسكرية بالعراق والكويت، ومن أبرزهم الطالب محمد بوخروبة المدعو هواري بومدين[2] الذي سيتولى مناصب قيادية خلال الثورة وحتّى بعد الاستقلال.

هكذا يعتبر تاريخ انطلاق الثورة الجزائرية بداية فقدان فرنسا لزمام المبادرة[3]، فرغم كل عمليات التعبئة العسكرية الهائلة، إلّا أنها لم تستطيع القضاء على الثورة ولا على فصل الشعب عنها.

1- خيرالدين شترة: الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة (1900 1956)، ج2 دار البصائر، الجزائر، 2008، ص147 148.

2- رابح لونيسي: محاضرات وأبحاث في تاريخ الجزائر، كوكب العلوم للنشر، الجزائر، 2002، ص74.

3- جمال قنان: قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، د.ط، المؤسسة الوطنية للإتصال والنشر الإشهار، 1994، ص264.

استنتاج:

إنّ المتتبع لمسار الحركة الطلابية الجزائرية عبر تاريخها النضالي ضدّ العدو الكولونيالي يستنتج ما يلي:

- يضعها ضمن الدائرة الموسعة للحركة الوطنية بمختلف ألوانها وتياراتها وأشكالها.
- اعتبارها نخبة جزائرية مثقفة، واعية ساهمت في بلورة وتشكيل الوعي السياسي والثوري لدى الجزائريين..
- الاختلاف الإيديولوجي والفكري بين الطلبة الجزائريين ساهم في إغناء و إثراء رصيد الحركة الوطنية قبل 1962 وبعدها.
- عنصر استراتيجي في عمليات التحرير والتعمير.
- القوّة الفتية والطاقات الحية، طالما راهنت عليها الجزائر منذ 1830 م إلى غاية 1962م.
- إنّ كل هذه السياقات التاريخية ولّدت ونشطت من خلالها الحركة الطلابية الجزائرية سواء في الداخل أو الخارج تشرح لنا مدى مساهمة وفعالية الدور الطلابي في استقلال الجزائر من خلال الأدوار المختلفة على جميع المستويات السياسية، العسكرية، الثقافية.
- يعد الطلبة رقما فاعلا في الثورة التحريرية في كل الجبهات والمؤسسات الثورية في الداخل والخارج، وبفضل ثقافتهم ووعيهم وصلت الثورة إلى برّ الأمان.
- مراهنة الثورة على الطاقات الطلابية كمورد بشري إستراتيجي عملت على تنظيمه وتأطيره وتأهيله لإنجاح استراتيجيتها التحررية ضدّ الاستدمار الفرنسي.

• التحاق الطلبة الجزائريين بالجبهة والجيش طوال سبع سنوات من النضال الثوري ساهم من جهة في استقلال الجزائر، ومن جهة أخرى طرح إشكالية استنزاف الجامعة والثانويات وحرمانها من الطلبة مما أثّر على الجزائر بعد استقلالها التي وقعت فيمازق نقص وغياب الإطارات والكفاءات، إلّا أنّ الدولة الجزائرية استطاعت التكيف مع هذا الوضع الصعب والخروج منه بحكمة واقتدار.

• رغم كل ذلك فإنّ الهدف الرومانسي المتمثل في مطلب الاستقلال الذي تغنّى به الجزائريون قد سُطّر بالبند العريض في بيان أول نوفمبر، وتجسّد في أرض الواقع ليتحقق الحلم والوعد في سنة1962م.

• على الطبة الجزائريين اليوم الانخراط بجدية في عملية البناء والنهوض بالبلد ليكونوا حقيقة قاطرة التطور، وهو ما كان يحلم به المجاهدون والشهداء.

المصادر والمراجع:

1.أبي عبد الله محمد بن سعيد بن رسلان: **آداب طالب العلم**، ط1، دار بن حزم، بيروت، 1993.
2.الأغواطي حمد بن ابي زيد: **جمعية الطلبة الجزائريين بتونس**، *البصائر*، ع44، 20 نوفمبر 1936.
3.أوراغي احمد: الأنثروبولوجيا والاستعمار، قراءة في صورة الجزائر في المؤلفات الأنثروبولوجية والاستعمارية، مقال، جامعة تلمسان.
4.بلاح بشير: **تاريخ الجزائر المعاصر(1830الى 1989م**، ج1، د.ط، دار المعرفة.
5.بوحوش عمار: التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م، ط1، دار الغرب الجزائري، 1997.
6.بومالي أحمد: أدوات التجنيد والتعبئة الجماهيرية أثناء الثورة التحريرية الجزائرية، (1954 1956)، د.ط، دار المعرفة، الجزائر، 2010.
7. بوزيد بكر بن عبد الله: **حلية طالب العلم**، ط1، مؤسسة الرسالة، 2002، بيروت
8.جوليان شارل أندري: **تاريخ الجزائر المعاصرة**، ترجمة علي عصفور، ط1، منشورات عويدات، بيروت، 1972.
9.هلال عمار: **الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام 1847 1918م**، د.ط، دار هومه، الجزائر، 2007 ص13.
10.وزارة المجاهدين: الى الطلاب العرب"، *جريدة* المجاهد، ج3، ع79، 10 أكتوبر 1960، ص190.
11.حميداني سليم: **بيان أول نوفمبر 1954، قراءة سياسية، تحليلية، ادراكية**، الملتقى الدولي، الثورة التحريرية الكبرى، دراسة قانونية وسياسية، يومي 2 و3 ماي، 2012م، جامعة 08 ماي 1945، قالمة.
12.لونيسي رابح: **محاضرات وأبحاث في تاريخ الجزائر**، كوكب العلوم للنشر، الجزائر، 2002.
13.مختار أحمد عمر وأخرين: **معجم اللغة العربية المعاصرة**، مج1، ط1، عالم الكتاب، القاهرة، 2008
14.مجموعة من الاساتذة: دور الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين في الدفاع عن القيم وتأطير الدولة الجزائرية الفتية، سلسلة منشورات الجيب، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2005.
15.مجموعة باحثين: المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004.
16.سعد أحمد علي: **الطلاب** وانسان **المستقبل**، ط1، دار الرائد العربي بيروت، 1971
17.سعد الله أبو القاسم: **الحركة الوطنية1900 1930**، ج2، ط4، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان، 1992.
18.سعدالله، أبو القاسم: **تاريخ الجزائر الثقافي (1954 1962**ج9، دار البصائر، الجزائر، 2009.
19.عصماني أحمد: دور الرياضيين الجزائريين المهاجرين بفرنسا في الثورة التحريرية"، *مجلة* الدراسات التاريخية ع13، جامعة الجزائر 2، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، 2011

20.عمار عمور: **موجز في تاريخ الجزائر**، ط1، دار ريحانة، الجزائر، 2002

21.عقيب محمد السعيد: لاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين والمنظمات العالمية للطبة (19551962م)، "*مجلة* البحوث والدراسات، ع4، يناير 2007.

22. صباح وري هادي حنان طلال جاسم: تنظيمات العمال والطلبة المهاجرين الجزائريين ودورهم في المقاومة الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي، *مجلة* ديالى، ع52، كلية التربية الاساسية، جامعة ديالى، 2011.

23.قليل عمار، عمربوضربة: **تطور النشاط الدبلوماسي للثورة الجزائرية 1954 1960"**، د.ط، دار الرشاد للنشر، الجزائر، د.ت.

24 قنان جمال: **قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر**، د.ط، المؤسسة الوطنية للإتصال والنشر الإشهار، 1994.

25. خلوفي بغداد: نشاط الطلبة الجزائريين بالمشرق العربي اثناء الثورة التحريرية، *مجلة* المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، ع35، 08 ديسمبر 2014 م.

26.شترة خيرالدين: **الطلبة الجزائريين بجامع الزيتونة (1900 1956**، ج2 دار البصائر، الجزائر، 2008.

27. BenkadaSaddek: la revendication des libertés publique dans la discours politique du nationalisme algérien et de l’anti colonialisme française ، 1954/1919Insaniyat،n25،decembre 2004.

28. Myring Toril: le syseme scolaire en A lgerie: l’école primaire ،une institution assimilatrice ،mimoire de master، Université d’oslo ،institutde littératur ،civilisation etlangue européenes،2013.

2.9Guy Pervillé"،les etudiants algeriens،del’universitéfrançaise1880_1962،"France،1982،1984.

التموقع السياسي للأمير خالد الجزائري

تمهيد

1. تعريف شخصية الأمير خالد الجزائري.
2.الأمير خالد عدة انتماءات وغاية واحدة.
3.ظروف نشأة حركة الأمير خالد.
4.نضال الأمير خالد في إطار الشرعية الفرنسية.
5.مرجعياته وخلفياته.
6.مطالبه.
7.صحافته.
8.اختفاء حركة الأمير خالد.

استنتاج.

المصادر والمراجع.

توطئة:

تحرّك الشعب الجزائري ضد السياسات الفرنسية منذ الوهلة الأولى التي وطئت فيها أقدام الفرنسيين الجزائر سنة 1830م، فتمظهرت تلك الحركة عبر الوطن وفي الخارج من طرف الأفراد والجماعات في جملة من الوسائل والطرق السياسية، الفكرية، الدينية العسكرية، دفاعا عن القضية الوطنية العادلة فكانت تلك المساهمات والنشاطات الوطنية بمثابة فواعل وفعاليات نضالية مسطرة عنوانا عريضا اسمه الحركة الوطنية ضد المستدمر الفرنسي.

تباين واختلاف أصول ومشارب الحركة الوطنية التي سارت في عدة اتجاهات منذ بداية المقاومة، ومن أهمها اتجاه المساواة الذي تطور نشاطه مع نهاية الحرب العالمية الثانية 1919م قادة وزعماء سياسيين ذوي ثقافة فرنسية، أحد العناصر الجوهرية في السياسة الفرنسية [1] أمثال الأمير خالد الجزائري[2] لكن هذه الشخصية ومطالبها أثارت عدة اشكاليات لدى المؤرخين حول التموقع السياسي الصحيح له؟

1 - بسام العسلي: الأمير خالد الهاشمي الجزائري والدفاع عن جزائر الإسلام، ط2، دار النفائس، 1984، ص09.

2 Kaddache ، Mahfoud. (octobre 1973)، l'émir Khaled Jeune Etudiant et Officier، Revue D' Histoire et De Civilisation Du Maghreb، (10)، pp. 101-107

1. تعريف شخصية الأمير خالد الجزائري:

ولد الأمير خالد بالعاصمة السورية دمشق، يوم 20 فبراير 1875م، وهو حفيد الأمير عبد القادر الجزائري، تعلّم في دمشق العربية والفرنسية، دخل المدرسة الابتدائية هناك ثم واصل الدراسة في باريس في مدرستها الثانوية مما جعله يكتسب ثقافة فرنسية، ويطلع على حضارتها، وشعاراتها[1].

ودخل الكلية العسكرية بسانسير 1892م، وبعد تخرجه منها، شارك الأمير عام 1913م في الحرب العالمية الأولى، ثم انسحب من الجيش الفرنسي عام 1919م متجها إلى الجزائر التي استقر فيها للنضال السياسي.

برز النشاط السياسي للأمير خالد منذ 1919م عندما طالب بحقّ الشعوب في الاستقلال، وأدّى دور السياسي، والمصلح، والداعي للمساوة واحترام حقوق الجزائريين.

ظهر الأمير خالد في مرحلة تاريخية صعبة تمرّ بها البلاد بعد خمود الثورات المسلّحة، في مواجهة دعاة الاندماج" فهؤلاء نخبة جديدة وعصرية من نتاج المدارس الثانوية الفرنسية... وكانت هذه النخبة قد اندمجت تماما وتنافس الأوربيين من أجل الوصول إلى وظائف في السلم الوسطي "[2] خاطب الأمير خالد الرئيس الأميركي ويلسون، في رسالة دافع فيها عن الحقوق السياسية للجزائريين، كما راسل الرئيس الفرنسي هيريو، بنفس المطالب، وخلال زيارة الرئيس الفرنسي

[1] - أبو القاسم سعد الله: أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج4، ط1، دار الغرب الاسلامي، الجزائر، 1996، ص91.

[2] -Jurquet، Jacques: la révolution nationale Algerienne et le parti communiste français 1973.T2.

ميليران للجزائر عام 1922، خطب الأمير خالد أمامه مطالبا إيّاه بالمساواة بين الجزائريين والفرنسيين، ونتيجة لقوّة خطابه السياسي السلمي قرّرت فرنسا نفيه عام 1923م، لكن هذه السياسة الاستعمارية لم تثني الرجل عن مواصلة نشاطه السياسي للدفاع عن حقوق الشعب الجزائري أكثر محطة بارزة في تاريخه هو تأسيسه لحزب نجم الشمال الإفريقي الإسلامي1926م بفرنسا وجمع مناضلين من بلدان المغرب العربي [1]، وكانت وفاته بتاريخ 09 يناير 1939، بدمشق.

2. الأمير خالد عدة انتماءات وغاية واحدة

من خلال تفحص مطالب الأمير خالد السياسية نجدها تدور حول احترام الحقوق والحريات والمساواة، لكن صاحبها يملك نفسا ثوريا لم يسبق له مثيل من قبل في ظلّ سياسة الأمر الواقع التي تطبقها فرنسا في الجزائر وهو في ذلك يقول: **"إذن فلنكن فوضويين وشيوعيين وأعداء فرنسا ووطنيين وكل ما شئتم من صفة ولكن لنبقى رجالا قبل كل شيء..."**[2]، وقد وضعه شارل روبير أجيرون في خانة المحسوبين على النخبة والشبان الجزائريين.[3] أمّا بسام العسلي فيصفه بأنه أبرز قادة حركة الجزائر الفتاة ويضعه ضمن موقع التيار الجارف الذي شكلته فرنسا تارة وضمن المجاهدين تارة أخرى [4]والذين كانت لهم رغبة جامحة في ثورة كبرى.

---

[1] -Kaddache ، Mahfoud. (octobre 1973)، l'émir Khaled Jeune Etudiant et Officier، ***Revue*** D' Histoire et De Civilisation Du Maghreb، (10)، pp. 101-107

2- شارل روبير أجيرون: تاريخ الجزائر المعاصرة، ترجمة عيسى عصفور، ط1، 1982، منشورات عويدات، ص115

3 -بسام العسلي: نفس المرجع، ص177.

4 - عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962 م، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1997 م، ص219.

أمّا عمار بوحوش فينعت حركته بالشبان الجزائري التي ناضلت من أجل المساواة السياسية والتمثيل السياسي، لكنّه انفصل عنها فيما بعد[1] ، واللافت من عمار بوحوش يعتبر الأمير الخالد من الذين نادوا بالاستقلال عند زيارته لباريس وتقديم عريضته للرئيس الأمريكي ويلسن. إلّا أن أحمد توفيق المدني فيرى أن الأمير خالد تميّز بالصراحة المطلقة والصلابة في الرأي والابتعاد عن المرونة السياسية [2]

كما أنّ صورة الأمير خالد عند مصطفى الأشرف تبدو كقائد سياسي جاء في غير زمانه وصيحته كانت كمن يصيح في واد خاطب فرنسا بأسلوب جديد وهو وحيد في الميدان لم يجد أذانا صاغية وأن ساعة الكفاح لم تدق بعد [3]، ونجد موقع الامير خالد عند أبي القاسم سعدالله داخل خانة النخبة المنادين بالمساواة الذي انفصل عن الاندماجين بسبب قانون 1919م وفي ذلك يقول: **"...هو الحزب المعادي للإدماج، الذي سنطلق عليه من الآن حزب الإصلاح والذي كان تحت قيّادة الأمير خالد..."[4]** وهناك من الأجانب من وصف تيّاره بالحزب الوطني [5].

القارئ لهذه الآراء والمواقف سيلاحظ تناقضات حول التموقع السياسي الصحيح للأمير خالد ونحن نرى أنه كان يسير في الخط الأميري الذي يبدأ من جده الأمير عبد القادر الذي أعلن الجهاد صراحة وكان يقدم السلم على الحرب ويلتقي

1- عمار بوحوش نفس المرجع، ص227.

2 - مصطفى الاشرف: الجزائر الامة والمجتمع، ترجمة حنفي بن عيسى، د.ط، دار القصبة للنشر، 2007 ص248 249.

3- أبو القاسم سعدالله: الحركة الوطنية 1930/1900م، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ص289.

4- أبو القاسم سعدالله: المرجع السابق، ص291.

5 - عمورة عمار: موجز في تاريخ الجزائر، ط1، دار ريحانة، 2002، ص194.

هذا الخط مع الخطوط لسياسية الأخرى في نقطة الدفاع عن القضية الوطنية ويختلف معها في الوسائل والطرق وينتهي هذا الخط بفكرة الثورة بالسياسة لا بالحرب كاستراتيجية وليس تكيتك ظرفي.

3. ظروف نشأة حركة الأمير خالد

سطع نجم الأمير خالد في ظلّ بيئة ومحيط يسودها ظروف وعوامل مهّدت له الطريق وساهمت في تفعيل دوره وحركته من أهمها:

- سيّادة الافكار والتيارات الزاحفة من المشرق والغرب (أفكار الاصلاح والثورة البلشفية وحركات الشبان في تركيا ومصر).
- نهاية الحرب العالمية الأولى وانتعاش امال الشعوب المستعمرة في التحرر.
- ظهور مبادئ التحرر في العالم (مبادئ ولسن)[1] حيث شهد العالم موجة من حركات التحرر في العالم الثالث، وسادت نغمة تقرير المصير، فكانت جرعة سحرية أنعشت قادة هذه الحركات التحررية بعد اعلان مبادئ ولسون الأربعة عشر، وكان الأمير خالد يترقب الوضع بحذر، فشكل وفدا وقدّم عريضة مطلبية للرئيس الأمريكي ويلسن استعرض فيها النضال الجزائري طوال القرن19م ضدّ الاحتلال الفرنسي وسياسته الظالمة في حقّ الجزائريين، وطالب أيضا بإدراج قضية الجزائر تحت رعاية الجمعية العامة لعصبة الأمم [2]، إلا أن مسعاه باء بالفشل لذلك قرّر

1 - فاطمة حباش: البعد الوطني في نضال الأمير خالد، مجلة عصور جديدة، ع23، أوت 2016، ص203

2- فوزية لوصيف: الزوايا في الجزائر إرث بين التاريخ الاستعماري وضرورة الإصلاح والتجديد، مجلة جامعة الأمير 3- عبد القادر للعلوم الإنسانية صالح عسول: اللاجئون الجزائريون بتونس ودورهم في الثورة 19561962م، مذكرة مقدمة لنيل 18شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ وعلم الاثار، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2009/2008.ص14، ع1، مج28، 2014، ص410.

أسلوب نضالي آخر يتمثل في توعية الشعب، وتحميسهم وتعبئتهم وراء هدف واحد وهو الدفاع عن القضية الوطنية والتكتل في إطار موحد بعيدا عن الفرقة والاختلاف.

4. نضال الأمير خالد الجزائري في إطار الشرعية الفرنسية

واجه الأمير خالد الجزائري عراقيل صعبة منذ بداية مشوراه السياسي، سواء في الجزائر أو فرنسا، على رأسها عدة خصوم ممثلين في:

- الطرقيين ورجال الزوايا المتمتعين بامتيازات الإدارة الفرنسية، [1] والذين ناصبوه العداء خوفا على مكانتهم ودورهم الاجتماعي.
- الحزب الشيوعي الفرنسي الذي وظّف ترسانته الإعلامية، ودعايته الحزبية لتشويه صورة الأمير خالد متهما غياه بالعمالة والفاشية والتعصّب محرضين فرنسا ضدّه.
- رجال الدين الموالين لفرنسا الذين كانوا أداة استعمارية طيّعة في يد مؤسسات وهيئات فرنسا المحتلة من أمن وشرطة ودرك وجيش ومخابرات، مقدمين خطاب ديني انهزامي استسلامي ضد الأمير خالد.
- الأوربيين الذين تخوّفوا من تأثير شخصية الرجل خاصة أنه طالب بالمساواة مع الفرنسيين في إطار احترام الشخصية الجزائرية بعروبتها و إسلامها، هذا الأمر جلب

---

[1]- عبد القادر للعلوم الإنسانية صالح عسول: **اللاجئون الجزائريون بتونس ودورهم في الثورة 1962/1956م**، مذكرة مقدمة لنيل 18شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ وعلم الاثار، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر باتنة، 20082009.ص14، ع1، مج28، 2014، ص410.

له العداء من طرف هؤلاء ومن الأساليب التي اعتمدوها لإقصاء وتهميش الجزائريين هي حرمانهم من تعلم اللغة الفرنسية ومن ولوج المدارس الفرنسية[1].

5. مرجعياته وخلفياته

لم تنطلق حركة الأمير خالد الجزائر من فراغ، وليست مبتورة عن واقع أمته ووطنه، ولم تكن بعيدة عن حمل آمال وطموحات الألاف من المضطهدين والسّجناء والمنفيين واللاجئين بل كانت في نفس السياق، تنبض بالروح الوطنية تتلمس طريق الخلاص في خضم واقع مزري يعيشه الجزائريون فرضه الاحتلال الفرنسي بالقوة العسكرية، من هذا المنطلق تتحدد مرجعيات الأمير خالد وخلفياته من خلال:

5. 1. الرصيد التاريخي من البطولة والتضحية

استلهم الأمير خالد شجاعته و إقدامه ضدّ الفرنسيين بمطالبه الجريئة خاصة منذ أن طالب بتقرير مصير الجزائريين سنة 1919م، وكان يؤمن بمواصلة النضال بمختلف الوسائل والإمكانيات، على غرار ما قامت به الثورات الشعبية، وهو حفيد الأمير عبد القادر الذي أسس دولة داخل دولة 18321848م، فهو ابن الشعب ومن صميم الأمة، تغذى من روح الأمير عبد القادر، تأثر بشخصيته وبتاريخه، وشارك أيضا في ثورة عمه عبدالمالك في المغرب الأقصى، رغم أنّه ترعرع ونشأ وتعلم في مدارس وكليات فرنسا المدنية والعسكرية إلّا أن وفائه للقضية الوطنية كان كبيرا كباقي الوطنيين الذين دافعوا بشراسة عنها ويقول

1 - أبو القاسم سعدالله: الحركة الوطنية 1930/1900م، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

أبوالقاسم سعدالله عن الشعور الوطني لدى النخبة الجزائرية: **"فهي موجودة في نفوسهم وفي خلفيتهم التاريخية[1] ".**

5. 2. العامل الديني

يعد الأمير خالد من حفظة كتاب الله، والمطّلعين على سيرته نبيه الكريم مما انعكس على خطاباته وفصاحته، وفي استماته أمام عراقيل الإدارة الفرنسية والمستوطنين والمتواطئين معها من قوى محلية عميلة لها خاصة القوى الدينية الذين قال فيهم مسيو برك:

" لقد وصل بنا امتهان واحتقار الدين الإسلامي إلى درجة أن أصبحنا لا نسمح بتسمية المفتي أو الإمام إلا من بين الذين اجتازوا سائر درجات التجسس ولا يمكن لموظف ديني أن ينال أيّ رقي إلّا إذا أظهر للإدارة الفرنسية إخلاصا منقطع النظير".[2]

5. 3. روح القيّم والمبادئ العالمية السّائدة

تمتع الأمير خالد بثقافة عربية وفرنسية منفتحة على روح العصر وجد نفسه ضد محتل عنيد حول شعبه إلى عبيد، فكان يعيش بين وطن إسلامي عربي مسلوب الإرادة ووطن أوروبي يتبجح بالديمقراطية والحرية والعدل والمساواة، شعر بذلك التناقض الصارخ في السياسة الفرنسية وبدون شك فهو يعرف أن قوة فرنسا وحضارتها مستمدة من نضالات الشعب الفرنسي الذي أوقد ثورة عالمية عام

1 - أحمد توفيق المدني: هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص148.

2 - نفسه، 76

1789م[1]، صدرت قيمها ومبادئها للعالم أجمع ورغم تربيته وثقافته الفرنسية وانفتاحه على الغرب وأوروبا إلّا أنه بقي متمسكا بأصالته وهويته، محاربا للتجنس[2].

5. 4. أجواء نهاية الحرب العالمية الأولى

قد أعطت نهاية الحرب العالمية الأولى للجزائريين وخاصة الأمير خالد جرعة أمل بحصول الجزائريين على استقلالهم بمبادرة من فرنسا، وعلى الأقل بضغط من الدول الكبرى في العالم أنداك على رأسها الولايات المتحدة الأمريكية في وقت تمتعت فيه شعوب وأجناس بحريتها واستقلالها بعد سيادة تيار القومية في أوروبا.

5. 5. نهاية الرجل المريض وأمال العرب في الاستقلال

حفّزت وعود بريطانيا وفرنسا للعرب بالاستقلال منذ الثورة العربية الكبرى 1916م ضدّ الرجل المريض، الجمعيات والاحزاب، في المنطقة العربية على تقديم مطالبها الداعية للاستقلال والحرية عن الأتراك، إلا أنّ المؤامرات الأوروبية كانت بالمرصاد من خلال اتفاقية سايكس بيكو المشؤومة 1916م ووعد بلفور لليهود بتأسيس وطن قومي لهم 1917م، هذه الظروف والأجواء حرّكت المشاعر الوطنية والثورية في نفسية الأمير خالد لدخول معترك السياسة والنضال محتذيا بالعرب في المشرق العربي لكن النتيجة كانت الخيبة بعد اكتشاف مؤامرتهم الدنيئة ضد العرب.

---

1 -Kaddache، Mahfoud: la vie politique à Alger 1919 1939.SNED: algeire.19970.p41

2 - عمورة عمار: المرجع السابق، ص ص 165 166.

6.5. شخصية الأمير خالد الجزائري العسكرية

تميّزت شخصية الامير خالد الجزائري بالشجاعة والصبر والإقدام وتحمّل المشاق، والتحكم في الأعصاب المناورة، الذكاء، والقدرة على التكيف مع دسائس الإدارة الفرنسية والمستوطنين ومع المعارضين له من أبناء جلدته، فهو رجل جزائري، بروح وطنية وشخصية عسكرية وتفكير سياسي بدور ومكانة أميرية بطولية، مشدود لوطن عربي إسلامي.

6. مطالب الأمير خالد[1]

- حق الانتخاب للمسلمين الجزائريين.
- الغاء القوانين الزجرية والاستثنائية والمحاكم المختصة.
- المساوات في الحقوق مع الأوروبيين.
- التعليم الإجباري وحرية التعليم الحر.
- حرية الصحافة والتعبير والسّفر إلى فرنسا.
- تطبيق القوانين الاجتماعية على العمال الجزائريين.
- إعلان العفو العام.
- فصل الدين عن الحكومة فيما يخص الشريعة الإسلامية.

7.صحافته

إضافة إلى نشاطات الأمير خالد التي كان يقوم بها داخل الوطن وخارجه ساعيا إلى التشهير بعدالة القضة الجزائرية وذلك ب:

1- عمار عمورة: الجزائر بوابة التاريخ، الجزائر عامة، د.ط، الجزائر، دار هومة، 2009، ص301

- إلقاء الدروس والمحاضرات.
- مراسلة القادة والملوك والزعماء في العالم.
- الزيارات الميدانية للجزائر.
- إرسال العرائض والمطالب للمؤتمرات والاجتماعات.

فإنه منبر إعلامي كصوت يعبّر بـه عـن مطالـب الجزائـريين فـي المسـاواة فيه عن طريق جريدة الإقدام التـي كانـت تصـدر باللغتين العربيـة والفرنسـية ودافـع فيها عن حقوق المسلمين الجزائريين من العمال والفلاحين.[1]

8.اختفاء حركة الأمير خالد:

ظلّـت حركـة الأميـر خالـد تصـنع الأحـداث علـى المسـرحين الـوطني والخـارجي بنشـاطاتها السياسـية مـا بـين (1919/ 1923م) الّـذي اسـتغل كـل المناسـبات السياسـية لتقـديم مطالبـه إلّا أنّ فرنسـا ضـيّقت عليـه وعلـى نشـاطاته فأجبرته على الرحيل ونفيـه سـنة 1923م، ورغـم ذلـك لـم تنقطـع حركتـه ولـم تثنـي عزيمته في المنفى من خلال مراسلة رئيس الـوزراء الفرنسـي هيريـو 1924م مـن الإسـكندرية ومواصـلة نضـاله السياسـي والإصـلاحي وهـو السـبب الـذي دفـع الفرنسيين لمنعه من دخول وطنه إلى غاية وفاته سنة 1936م.

إذا غاب الزعيم خالد واختفت حركته من السّاحة السياسية فـإنّ اسـمه بقـي ساطعا ففي الأذهان وبرنامجه ساريا مفعولـه فـي مطالـب الحركـة الوطنيـة بمختلـف تياراتها وروحه ظلّت خالدة ومخيّمة وحاضرة فيما بعد، حيث أثّر فكر الامير خالد فـي

1- أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص293

الليبيراليين من خلال رفعه لشعار المساواة، بينما نقل أفكاره الانفصالية حزب نجم شمال إفريقيا الذي تأسس عام 1926 [1]، إضافة الى حضوره في الخطاب الديني لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تأسست سنة 1931 م.

استنتاج:

رغم ما قيل في شخصية الأمير خالد وحركته السياسية والاختلاف في انتسابه السياسي إلا أننا نسجّل أنه كان رجلا قائدا ثوريا هادئا، ومصلحا سياسيا رائدا ونخبويا منفتحا ومتطلعا للمستقبل متحفظا في مطالبه محافظا على شخصيته، مستقلا برأيه مؤثرا في غيره كما كانت حركته السياسية لبنة في البناء السياسي الوطني استلهمت منها جميع الاتجاهات والتيارات السياسية بعده، مثلما استلهمت ثورة نوفمبر 1954م من روح جده الأمير عبد القادر.

1- مالك بن نبي: ميلاد مجتمع، ترجمة عبد الصبور شاهين، ج1، د.ط، دار الفكر، دمشق، 1985، ص16.

المصادر والمراجع:

1.أبو القاسم سعدالله: **الحركة الوطنية 1930/1900**م، ج2، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983.

2.أحمد توفيق المدني: **هذه هي الجزائر**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

3 بسام العسلي: الأمير خالد الهاشمي الجزائري والدفاع عن جزائر الإسلام، ط2، دار النفائس، 1984.

4 ابو القاسم سعد الله: ابحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج4، ط1، دار الغرب الاسلامي، الجزائر، 1996.

5.كميل ريسلير: **السياسة الثقافية الفرنسية بالجزائر**، ترجمة نذيرطيار، ط1، دار كتابات جديدة، 2016.

6.لونيسي رابح، داودوة نبيل: **رجال لهم تاريخ**، د.ط، الجزائر، دار المعرفة، 2010.

7.مصطفى الأشرف: **الجزائر الامة والمجتمع**، ترجمة حنفي بن عيسى، د.ط، دار القصبة للنشر، 2007 ص248 249

8.عسول صالح: **اللاجئون الجزائريون بتونس ودورهم في الثورة 19561962**م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ وعلم الاثار، كلية الأداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر باتنة، 20082009.

9. عمورة عمار: **الجزائر بوابة التاريخ، الجزائر عامة**، د،ط، الجزائر، دار هومة، 2009

10.: **موجز في تاريخ الجزائر**، ط1، دار ريحانة، 2002، ص194

11.عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962 م، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1997 م.

12.فوزية لوصيف: الزوايا في الجزائر إرث بين التاريخ الاستعماري وضرورة الإصلاح والتجديد، ***مجلة*** جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإنسانية، ع1، مج28، 2014.

13 فاطمة حباش: البعد الوطني في نضال الأمير خالد، مجلة عصور جديدة، ع23، أوت 2016.

14.ورثام: **مشاكل فرنسا** في الاطلنطي الشهري، د.ط، م130، 1922.

15.شارل روبير أجيرون: **تاريخ الجزائر المعاصرة**، ترجمة عيسى عصفور، ط1، 1982، منشورات عويدات.

16.Kaddache، Mahfoud: **la vie politique à Alger 1919 1939**.SNED: algeire،19970

17.Kaddache ، Mahfoud. (octobre 1973)، l'émir Khaled Jeune Etudiant et Officier، ***Revue*** D' Histoire et De Civilisation Du Maghreb، (10)، pp. 101-107.

18Jurquet، Jacques: la révolution nationale Algerienne et le parti communiste français 1973،T2.

فهرس المحتويات:

إهداء ....
تقديم ....
مقدمة ....

نظام مسابقات الرمكات في العهد الفرنسي في عمالات الجزائر ووهران وقسنطينة من خلال جريدة المبشر الفرنسية

توطئة.. 3
1. تعريف جريدة المبشر 3
2. تاريخ سباق الخيل في الجزائر.. 4
3. التعريف بالرمكات.. 5
4. نظام مسابقة الرمكات 7
5. نصائح البايلك فيما يخص فحول الخيل.. 8
6. محتوى القوانين والاوامر الصادرة.. 8
6. 1. الأمر الصادر 1845 8
6. 2. فحول خيل الأعراش.. 9
7. شروط مسابقة الخيل في العملات الثلاث 10
8. الدعاية لسباق الخيل والهدف منها 12
9. فوائد رياضة الخيول 15
استنتاج:.. 19
المصادر والمراجع:.. 20

الجزائر من خلال كتابات الأسير الإسباني ميغيل دي سيرفانتس

توطئة:.. 23
1. شخصية الأسير الإسباني ميغيل سيرفانتس.. 23
2. المدينة المحروسة 24
3. من العمل البحري إلى القرصنة:.. 27
4. معاملة الأسرى في مدينة الجزائر 28
5. نقد وتقييم لشخصيته وكتاباته:... 30
استنتاج:.. 32

المصادر والمراجع:.... 33

صورة واد ميزاب في مذكرات القنصل الأمريكي وليام شالر

توطئة:.... 35
1. التعريف بشخصية ويليام شالر 35
2. جغرافية بني ميزاب 37
3. الظاهرة العمرانية.... 38
4. النظام الاجتماعي لأهل ميزاب 40
5. الحياة الاقتصادية 41
6.المجتمع الميزابي: 44
استنتاج:.... 50
المصادر والمراجع:.... 51

بوغفالة ودان ومنهجيته في الدراسات التاريخية العثمانية " كتاب الثورة الفرنسية من خلال الأسطوغرافيا المغاربية نموذجا"

توطئة:.... 54
1. التعريف بالمؤلف 55
2. منهج المؤلف بوغفالة ودان: 57
3. التعريف بكتاب الثورة الفرنسية في الأسطوغرافيا المغاربية، دراسة تاريخية تحليلية في نماذج من كتابات القرن 13ه/ 19م للدكتور بوغفالة ودان: 59
4. الأسطوغرافيا المغاربية المعتمدة من طرف المؤلف:.... 60
5. حلقة الجزائر ضمن سلسلة الأسطوغرافيا المغاربية وأحداث الثورة الفرنسية:.... 63
6. القيمة التاريخية للكتاب 65
استنتاج:.... 70
المصادر والمراجع:.... 72

الشيخ البشير الإبراهيمي نموذج عُلمائي مُقاوم للطرقية

توطئة.... 74
1. نبذة عن البشير الابراهيمي:.... 75
2. لمحة عن الطُرقية:.... 77
3. رجال الصوفية في حضن جمعية العلماء المسلمين 79

4. التياران العُلمائي والطُرقي في مفترق الطرق:........ 82
5. قراءة وتحليل للخطاب الديني للشيخ البشير الإبراهيمي ضدّ الطرقية 86
استنتاج........ 90
المصادر والمراجع:........ 91

الحسّ النقدي عند زوهير إحدادن لحظة وعي في التاريخ الجزائر

توطئة:........ 94
1. زوهير إحدادن السيرة والمسيرة........ 94
2. إحدادان وابن خلدون حدود وتفاعلات 96
3. مفهوم التاريخ عند إحدادن وابن خلدون: 100
4. أهم مؤلفاته في حقل التاريخ 102
1.4. كتاب "المختصر في تاريخ الثورة الجزائرية 1941962": 103
4. 2. كتاب شخصيات ومواقف تاريخية 104
5. التاريخ الوطني تحت مجهر النقد لزوهير إحدادن 105
5. 1. قضية المصطلحات........ 105
5. 2. التحقيب التاريخي الجزائري........ 106
6. نقد التاريخ عند زوهير احدادن، رؤى وقناعات:........ 106
6. 1. التاريخ الحضاري للجزائر........ 107
6. 2. إشكاليات تاريخية متعلقة بالثورة:........ 109
استنتاج:........ 111
المصادر والمراجع:........ 112

إسهامات الحركة الطلابية الجزائرية في الثورة التحريرية ما بين 1954/1962م سياسيا عسكريا، ثقافيا

توطئة:........ 115
1. مفهوم الحركة الطلابية:........ 116
1. 1. الطالب لغة:........ 116
1. 2. اصطلاحا: 117
2. ميلاد الحركة الطلابية:........ 119
3. بيان أول نوفمبر والدعوة لتعبئة الشعب 122
4. الدور الطلابي في الثورة التحريرية: 125

استنتاج:.. 130
المصادر والمراجع:... 132

التموقع السياسي للأمير خالد الجزائري

توطئة:.. 135
1. تعريف شخصية الأمير خالد الجزائري:.. 136
2. الأمير خالد عدة انتماءات وغاية واحدة 137
3. ظروف نشأة حركة الأمير خالد... 139
4. نضال الأمير خالد الجزائري في إطار الشرعية الفرنسية 140
5. مرجعياته وخلفياته.. 141
5. 1. الرصيد التاريخي من البطولة والتضحية 141
5. 2. العامل الديني 142
5. 3. روح القيّم والمبادئ العالمية السّائدة 142
5. 4. أجواء نهاية الحرب العالمية الأولى.. 143
5. 5. نهاية الرجل المريض وآمال العرب في الاستقلال.. 143
5. 6. شخصية الأمير خالد الجزائري العسكرية.. 144
6. مطالب الأمير خالد 144
7.صحافته 144
8.اختفاء حركة الأمير خالد:.. 145
استنتاج:.. 146
المصادر والمراجع:.. 147
فهرس المحتويات: 148

أنجز هذا الكتاب الأستاذ خروس مصطفى

تحصل على:

- شهادة البكالوريا في تخصص آداب وعلوم إسلامية من ثانوية عمر بن خطاب بعمي موسى ولاية غليزان.
- شهادة الليسانس في التاريخ العام من جامعة مصطفى اسطنبولي بولاية مسعكر.
- شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر من جامعة غرداية.
- يواصل دراسته في طور الدكتوراه بجامعة الجيلالي ليابس ولاية سيدي بلعباس.
- أستاذ حاليا في ثانوية المنطقة العلمية العطف ولاية غرداية.
- استاذ مؤقت بجامعة غرداية.
- من منشوراته:
- كتاب الأمير عبد القادر الجزائري والبعد الإنساني لشخصيته 1883/1832م.
- مجموعة مقالات منشورة في مجلات وطنية ودولية.
- مشاركة في العديد من ملتقيات وطنية ودولية.



الأستاذ مصطفى خروس

أنجز هذا الكتاب الأستاذ: خروس مصطفى

تحصل على:

- شهادة البكالوريا في تخصص آداب وعلوم إسلامية من ثانوية عمر بن خطاب يعمي موسى ولاية غليزان.
- شهادة الليسانس في التاريخ العاممن جامعة مصطفى اسطنبولي بولاية مسعكر.
- شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر من جامعة غرداية.
- يواصل دراسته في طور الدكتوراه بجامعة الجيلالي ليابس ولاية سيدي بلعباس.
- أستاذ حاليا في ثانوية المنطقة العلمية العطف ولاية غرداية.
- استاذ مؤقت بجامعة غرداية.

من منشوراته:

- كتاب الأمير عبد القادر الجزائري والبعد الإنساني لشخصيته 1832/1883م
- مجموعة مقالات منشورة في مجلات وطنية ودولية
- مشاركة في العديد من ملتقياتوطنية ودولية